الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة السادسة والثلاثون
شوال ١٤٤٢ هـ - أيار ٢٠٢١م

العدد
٤١٧

كلمة الوعي

واقع الأمَّة بين دوافع التغيير ومقومات النجاح

عدالة الصحابة رضي الله عنهم في نقل الإسلام ص٣٤

خطة الغرب الدائمة في استعمار بلاد المسلمين ص٨

الولاء للأنظمة هو الذي يوحِّد آراء علماء السلاطين، وليس الولاء لرب العالمين ص٥١

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤١٧

السنة السادسة والثلاثون
شوال ١٤٤٢هـ
أيار ٢٠٢١م

المحتويات

- كلمة الوعي: واقع الأمَّة بين دوافع التغيير ومقومات النجاح ٣
- خطة الغرب الدائمة في استعمار بلاد المسلمين ٨
- غربة الإسلام وتجديده وحزب التحرير (٣) ١٦
- الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة (٤) ٢٥
- عدالة الصحابة رضي الله عنهم في نقل الإسلام ٣٤
- أخبار المسلمين في العالم ٣٨
- مع القرآن الكريم: مسؤولية المسلمين الشرعية حيال غياب الحكم بالإسلام ٤٢
- رياض الجنة: الإخلاص ركن في العبادة لا يقبل الله بدونه عملًا (١) ٤٥
- حدائق ذات بهجة: من فضائل الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤٧
- كلمة أخيرة: الولاء للأنظمة هو الذي يوحِّد آراء علماء السلاطين، وليس الولاء لرب العالمين ٥١
- غلاف أخير: محمد بن سلمان يعطِّل السنة الشريفة في رؤيته لتجديد الدين ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

واقع الأمَّة بين دوافع التغيير ومقومات النجاح

محمد شريف - ولاية العراق

إنَّ وجود عوامل تدفع الإنسان نحو تغيير واقعه أمر لازم له قبل التفكير بالتغيير والعمل عليه، ولا يمكن للتفكير والعمل أن يكون منتجًا من دون وجود دراسة لمقوِّمات نجاحه، فبدون مقوِّمات حقيقية وكافية يصبح الحديث عن التغيير ضربًا من الخيال ومضيعة للوقت والجهد، وإذا نظرنا إلى واقع أمتنا الإسلامية نرى أنها تمتلك هذين الأمرين: دوافع التغيير، ومقومات النجاح.

أمَّا دوافع التغيير، فإنَّها تتمثل في أمور ثلاثة: فكرية، واقتصادية، واجتماعية.

فالدافع الفكري، وهو الأهم، يتمثل بالحاجة إلى إحلال أفكار الإسلام ومعالجاته بدل أفكار العلمانية الضحلة، وهذا ينطلق من العقيدة التي يعتنقها المسلمون، والتي أساسها أنَّ الكون والإنسان والحياة مخلوقة لخالق، وهو المدبر لشؤون خلقه؛ ما يقتضي وجوب الانقياد لأوامر هذا الخالق، واتِّباع رسالته التي أنزلها على نبيه ﷺ، والتي تتضمن حلولًا ربانيةً محكمةً لمختلف مشاكل الحياة البشرية، وتكون كفيلة بإنتاج طراز عيش فريد من نوعه، وهو ما كان واقعًا ملموسًا لدى المسلمين - وغيرهم - لقرون عدة، وتؤدي إلى عيش الناس في مجتمع منضبط غير مضطرب، يأخذ الحلول من محتوى فكري يؤمن بصحته وقدرته على المعالجات، مهما اختلف الزمان والمكان، ويكون بعيدًا عن الاضطراب الفكري والسلوكي الذي ينتجه تبنِّي الحلول بخلاف المحتوى الفكري الذي يؤمن به المجتمع.

قد يقول قائل: هل بقيت هذه المسألة دافعًا قويًا في ظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت بالأمَّة الإسلامية، فضلًا عمَّا نراه من سطحية تفكير غالب الجيل الحالي الذي تأثر في طريقة تفكيره وسلوكه، بل حتى في مظهره، بأفكار العلمانية النتنة؟

نقول إنَّ الربط بين ما نعانيه من أزمات بالإعراض عن شرع الله وبين تغييبه عن واقع الحياة هو حجر الزاوية في إنجاح أي مشروع دعوي يهدف إلى إحداث تغيير جذري على أساس مبدئي، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ ونفهم من الآية الكريمة أن اتِّباع هدى الله هو شرط السعادة، والإعراض عنه يجلب ضنك العيش وخسارة الآخرة؛ ليكون ذلك ركيزة أساسية في عمل الكتلة من

خلال إذكاء هذه الفكرة في مجتمعات المسلمين لتكون سيادة أحكام الشريعة مطلبًا جماهيريًا أو رأيًا عامًّا على الأقل يسهل من خلاله الوصول للهدف المنشود.

ثم بعد ذلك يأتي العامل الاقتصادي وما تعانيه بلاد المسلمين من تدهور الوضع المعيشي في الترتيب الثاني من حيث الأهمية كدافع نحو التغيير، لا سيما إذا علمنا أنَّ ٣٧٪ من سكان البلاد الإسلامية يعيشون تحت خط الفقر، ويمثلون حوالى ربع سكان العالم، في حين إن بلدانهم تنعم غالبها بثروات كثيرة وبمقومات نهوض اقتصادي كبيرة. ونسبة الفقر هذه لا تعكس مقدار غنى أو فقر البلدان التي ينتمي إليها هؤلاء الفقراء، فقد تكون مرتفعة في بلد ينعم بالثروة، فأفريقيا على سبيل المثال تنتج ٩٥٪ من الألماس في العالم، في حين يقبع أكثر من نصف سكان هذه البلاد تحت خط الفقر، وهل يعقل أنَّ بلدًا مثل السودان بما يمتلك من أراضٍ صالحة للزراعة يعاني من أزمة خبز مثلًا؟! وهذا يعكس فشل إدارة هذه البلدان من الأنظمة الرأسمالية الحاكمة، وهذا يكشف حقيقة النظام الرأسمالي، فهو يجعل تركُّز الثروة بيد عدد قليل من مجموع الشعوب، فبحسب تقرير لمنظمة أوكسفام البريطانية غير الحكومية فإن ثروة ١٠٪ من سكان العالم تعادل ثروة بقية سكان العالم جميعًا!

ولا ريب أن هناك ارتباطًا بين نسبة الفقر والبطالة، فبحسب ما نشره المكتب الإقليمي الخاص بالدول العربية لمنظمة العمل الدولية عام ٢٠١٦م، فإنَّ نسبة البطالة بين الشباب في الدول العربية تصل إلى ٣٠٪ وهذه المشكلة موجودة حتى في الدول الصناعية المتقدمة، ولو بنسب أقل. وهذا إن دلَّ فإنه يدلُّ على أن النظام الرأسمالي هو نظام سيِّئ لكل الشعوب بما فيها شعوبه.

أمَّا ما يخص الغذاء فبحسب الإحصاءات الرسمية يبلغ عدد الجياع في العالم ٨٢١ مليون جائع، ويعاني ١٥٠ مليون طفل في العالم من تقزُّم بسبب سوء التغذية، وأمَّا الأمن الغذائي،[1] فبحسب التقارير الرسمية لعام ٢٠١٩م، يعاني أكثر من ملياري شخص حول العالم من انعدام الأمن الغذائي، ولا ريب أنَّ انعدام الأمن الغذائي والسكن الصحي الملائم كفيل بإحداث مشاكل صحية عديدة في مجتمعات تعاني أصلًا من أنظمة صحية مهترئة.

إنَّ العيش تحت خط الفقر يعني المساس بشكل مباشر بحياة الشعوب، وجعل أساسيات العيش الكريم من مأكل وملبس ومسكن مناسب في مهب الريح، أفلا يكون ذلك كله دافعًا

١ هو الحالة التي يتحقق فيها الحصول على الغذاء الكافي والآمن والمغذي لكل الافراد، وفي كل الأوقات، بشكل يلبي احتياجاتهم الغذائية، كما يناسب أذواقهم الغذائية المختلفة بما يدعم حياة نشطة وصحية.

للبحث عن التغيير؟!

أمَّا المشاكل والأزمات الاجتماعية فلا تقلُّ أهمية عن سابقتها كدافع نحو التغيير، وهي في الغالب نتاج الأزمات الفكرية والاقتصادية آنفة الذكر، وسنضرب أمثلة على المشاكل الاجتماعية الأكثر أهمية وتأثيرًا في المجتمع، فمشكلة الإدمان على المواد المخدرة أصبحت مشكلة عالمية تعاني منها غالبية مجتمعات دول العالم، ففي عام ٢٠١٧م تحدَّث التقرير العالمي للمخدرات عن وجود ٢٧١ مليون مدمن حول العالم، وهو ما يمثل ٥,٥٪ من سكان العالم، منهم ٣٠ مليونًا يعانون من اضطرابات نفسية.

أمَّا عن جرائم الاغتصاب، فإنَّ ارتفاع عددها متوقع في ظل غياب الرادع؛ إلا أنَّ الغريب أن تكون السويد في المرتبة الرابعة، والولايات المتحدة في المرتبة الحادية عشرة، من بين أعلى الدول تسجيلًا لحالات الاغتصاب، ولم تكن بلاد المسلمين بمنأى عن هذه المشكلة أبدًا، مع أن هذا الأمر بعيد عن أن يكون من مشاكل المسلمين لو كان الإسلام هو المطبق؛ على أنَّ المستغرب في هذه الإحصائيات أنَّ هذه الدول تتمتع بأنظمة تدَّعي أنها أنظمة ديمقراطية رصينة، وليست مجموعات عائلية رأسمالية تحكم البلد، وتتسلَّط على رقاب الناس دون حسيب أو رقيب كما في الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين.

ومن المشكلات المجتمعية الأخرى التي تعصف بمجتمعات المسلمين ازدياد حالات الطلاق بشكل مضطرد وعزوف الشباب عن الزواج، فبحسب إحصائية صادرة عن مجلس القضاء الأعلى العراقي عام ٢٠٢٠م شكلت نسبة الطلاق ٢٣٪ من حالات الزواج، أمَّا في مصر فقد كشف الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء عام ٢٠١٩م أنَّ حالات الطلاق وصلت إلى ٢٣٧.٧ حالة طلاق بمعدل حالة كل دقيقتين، ولا تختلف دول مجلس التعاون الخليجي عن هذه الإحصاءات كثيرًا، ولا يخفى أنَّ هذه المشكلة تولِّد آثارًا وخيمة على المجتمع من فقدان الأطفال للأسرة الحاضنة السليمة، والآثار النفسية المترتِّبة عليهم، وعلى النساء المطلَّقات بشكل خاص، وتُدخل المجتمع في دائرة مغلقة من الأزمات.

هذا غيض من فيض مشاكل المجتمع، وهناك مشاكل عديدة أخرى لا يتَّسع المقام لذكرها، بل نكتفي بالإشارة إليها كعقوق الوالدين، والأمية، وقطيعة الأرحام، والعنف الأسري، وسوء الخلق، وغيرها، وهذه نماذج من مشاكل المجتمع وليست كلها، فاستبدال أنظمة من وضع البشر بنظام الله تعالى نتيجته الشقاء حتمًا.

إنَّ تصدِّي أي كتلة للعمل على تغيير هذا الواقع المرير يجب أن يتضمن دراسة موضوعية واعية للعوامل الكفيلة بإنتاج التغيير. فإيجاد حلول لمشاكل اقتصادية واجتماعية لمجتمع ما لا بُدَّ أن يسبقه عامل فكري، يتمثل في فكرة عميقة شاملة ومستنيرة حول الحياة التي يعيشها البشر، وهذه هي العقيدة الإسلامية، التي تقوم على أنَّ لهذا الكون خالقًا مدبرًا لشؤونه، وهذه هي الفكرة الكلية التي يعتنقها أكثر من مليار وثمانمائة مليون مسلم على وجه الكرة الأرضية، وهي كفيلة بترسيخ قاعدة أنَّ حل جميع هذه المشاكل عند ربِّ البشر، العالمِ بخلقه المدبرِ لشؤونهم، إضافة إلى أنَّ سر نجاح هذه الفكرة في إنجاز التغيير هو أنَّها عقيدة مقنعة للعقل موافقة للفطرة، فلم تأتِ حلًا وسطًا، بل نتاج عملية تفكير تنتج قناعة محكمة بالفكرة، ودافعًا للعمل على إيجادها في واقع الحياة.

لكن هذا الحل أو الفكرة يفتقر إيجادها في واقع الحياة إلى عمل كتلوي جماعي وليس فرديًا، وقد ظهرت طلائع هذه المحاولات عندما انبرى الرائد الذي لا يكذب أهله، **حزب التحرير**، لهذه المهمة منذ خمسينات القرن الماضي رافعًا غايته، وهي استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة شعارًا لمسيرة عمله.

إنَّ العامل الفكري لا بُدَّ له من عامل بشري يتمثل في جماعة مفكِّرة مؤثرة في المجتمع، تلتفُّ حول القيادة الأولى، وتتقبَّل مشروعها، وتعمل معها على وضع لمسات التطبيق وآلياته، وفئة أخرى مقودة تتَّقِد في داخلها جذوة الإسلام، وتتوق إلى تطبيقه، وتبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، وتتولَّى جعل الفكرة موضع التطبيق، وتمثِّل هذه الطبقة الحجر الأساس في ديمومة الإنتاج، وكذلك تمثِّل خط الدفاع عن المنجَز في حالة الاعتداء.

أمَّا حلول الأزمات الاقتصادية، فتحتاج إلى عوامل مادية تجعل الأفكار قابلة للتطبيق، ومنتجة في الوقت نفسه. فبلاد المسلمين تزخر بالثروات مما يسيل لعاب أعدائها في السيطرة عليها، من نفط وغاز ومعادن مختلفة، منها ما هو مكتشف ومنها ما هو في طور الاكتشاف، ما يجعل الدولة الإسلامية دولة غنية لديها الموارد المهمة التي تجعلها من الدول التي لا مناص للدول الأخرى من التعامل التجاري معها، ممَّا يزيد من دخلها ويجعلها قوة اقتصادية مؤثرة في الساحة السياسية العالمية، فضلًا عن وفرة الأراضي الصالحة للزراعة، والمياه العذبة اللازمة للسقي... إلخ، كل هذه العوامل تجعل تأمين غذاء الناس أمرًا يسيرًا.

إنَّ ما ذكرناه من ثروات طبيعية من معادن تدخل في أحكام الملكية العامة، وأراضٍ زراعية،

إضافة إلى تطبيق أحكام الزكاة، كفيلة بالقضاء على مشكلة الفقر، ولا شكَّ في ذلك، كما أنَّ عوائد الدولة من التصدير والإنتاج كفيلة بتوفير السيولة النقدية اللازمة للتنمية المستدامة والتطور التكنولوجي. هذا وقد أصدر **حزب التحرير** كتابه المتبنى في هذا الصدد (**النظام الاقتصادي في الإسلام**) وأتبعه بـ (**السياسة الاقتصادية المثلى**) ليكون المرتكز الفكري لتطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بالاقتصاد، والتي لا تمتُّ بصلة إلى ما نعرفه من أنظمة الاقتصاد الرأسمالية المتغوِّلة.

أمَّا ما يخص الأزمات الاجتماعية، فالشريعة الإسلامية فيها معالجات وافية لما تمَّ ذكره في هذا الصدد، وقد أصدر **حزب التحرير** كتابًا بهذا الخصوص عنوانه: (**النظام الاجتماعي في الإسلام**) فيه أحكام الإسلام لمختلف المشاكل الاجتماعية بشيء من التفصيل، والقائم على أحكام ربَّانية توجد الطمأنينة والاستقرار الأسري القائم على العفة والطهارة، والذي يقف على طرف نقيض من النظام الرأسمالي المتهتِّك الساقط الجدران.

إنَّ ما تم توضيحه من عوامل نجاح مشروع التغيير من العامل الفكري العقدي الربَّاني، والثروة البشرية الاستراتيجية، والخصائص الاقتصادية لبلاد المسلمين... فإنه موجَّه لعموم المسلمين الذين اعتادوا على وجود هذه الدول القائمة الفاشلة، والمستمِدة شرايين حياتها من النظام الرأسمالي الفاسد؛ ولكن المسلمين اليوم باتوا على اطلاع عام على هذه المقومات المتينة، وعلى تاريخهم المجيد؛ وذلك من خلال ما يطلعون عليه من حياة عز المسلمين يوم كانت لهم دولة إسلامية، كانت هي الدولة الأولى في العالم لقرون طويلة، ومن خلال ما يروى لهم من مآثر الخلفاء الراشدين وغير الراشدين ممن طبقت عدالتهم وقوتهم وحنكتهم الآفاق حتى خضع لها حكام الغرب أنفسهم

إن مما يقوي توجُّه المسلمين نحو إقامة حياتهم على أساس دينهم هو أن التاريخ الإسلامي كان في معظمه ترجمة لتعاليم الإسلام في الجهاد والحكم والرعاية وقيام كل حياة المسلمين عليه... فالدولة الإسلامية هي جزء من الإسلام، ومهما حاول الغرب أن يغيَّر هذه الفكرة ويحاربها فإنه قد فشل وسيستمر فشله، وستقوم للإسلام خلافته الراشدة التي بشَّر الصادق المصدوق سيد ربع سكان الكرة الأرضية سيدنا محمد ﷺ أنها تكون في آخر الزمان بقوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**».

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة الغرب الدائمة في استعمار بلاد المسلمين

نبيل عبد الكريم

إن إلغاء منصب الخلافة، وإعلان انتهاء حكم الإسلام على أرض الواقع بسقوط آخر خلافة، وهي الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م، لم يكن نتاج عمل في مرحلة السقوط فحسب، بل طالت وتشعبت عبر تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية) التي نخرت عظامها مفاهيم الحضارة الأوروبية عبر البعثات العسكرية والدبلوماسية، والطلابية، والتبشيرية... المنظَّمة والمدروسة بعناية فائقة من قبل الأوروبيين، وخاصة بريطانيا، حتى أصبح سقوط الخلافة نتيجة منطقية، تقبَّلها الشارع أو لم يتقبَّلها، فهو حدث وقع أمام أعينهم، وأصبح ميزان القوى يميل إلى صالح أوروبا، وقد ظهر ذلك بتطوُّرها الصناعي والعسكري الذي أفضى إلى توسيع السيطرة الغربية باقتطاع أجزاء كبيرة من أطراف الدولة العثمانية التي كانت سمعتها ترهب الدول لمجرد ذكر اسمها؛ حيث خرجت الجزائر عام ١٨٣٥م، وأصبحت تحت يد فرنسا، وتبعتها مصر بيد بريطانيا ١٨٨٢م، ثم ما نتج عن حرب البلقان الأولى ١٩١٢م ضد اتحاد البلقان (بلغاريا- صربيا- اليونان- الجبل الأسود) فقد انتهى، بمساعدة لندن، إلى خسارة الدولة العثمانية لغالبية أراضيها في القارة الأوروبية.

وسنتطرق هنا، وفي عجالة، إلى بعض الأسباب التي أدَّت إلى مرض الدولة حتى السقوط، منها:

ضعف الالتزام بالدين الإسلامي وتعاليمه، وتفكك الرابطة المبدئية رويدًا رويدًا بسبب عدم الترابط الحقيقي بين أقاليمها مما ساعد الغزو الفكري في نخر عظام الدولة، وقد ساعد في ذلك ضعف اللغة العربية، واستخدام لغات مختلفة معها، وهو الذي عمَّق ضعف فهم الإسلام وتعاليمه.

الغزو التبشيري والثقافي ممَّا ساهم في تسرُّب النعرات القومية والنزاعات الوطنية. ولم يقتصر هذا الغزو على الدول الأوروبية وحسب، بل شاركت أمريكا وروسيا وأغلب دول الكفر آنذاك، وقد ساعد في ذلك إدخال بعض الأحكام الدستورية الغربية؛ حيث كانت هناك محاولات كثيرة لاستبدال الأحكام الشرعية بالقوانين الغربية، ومنها محاولة عبد الحميد الأول، وكان حديث السن! وبعدها محاولة مدحت باشا التي وقف عبد الحميد الثاني في وجهها، وبعدها أصبح إدخال بعض القوانين الغربية بقرار من شيخ الإسلام (مفتي الديار) الذي كان ينظر لهذه القوانين من ثلاثة نقاط فقط هي: (ما لا يخالف الإسلام يجوز أخذه) (المباح لا حرج فيه، فيكون أخذ ما لم يرد نهي عنه مباح) (الديمقراطية من الإسلام لأنها قائمة على الشورى، والعدل، والمساواة) وبناء على هذا كله أعطيت الفتاوى بجواز الأخذ من

الدستور الديمقراطي الغربي مع بقاء الدولة سائرة على نظام الخلافة؛ ومن هنا بدأ يزيد الخلل والانحراف.

انتشار الفرق الدينية الضالة التي تحمل العداء لدولة الخلافة وللمسلمين فأخذت تبث الفرقة والفتن، وساعد في ذلك وصول بعض شخصيات منهم إلى مناصب في الدولة.

الجيش الانكشاري بالرغم من كل ما قدَّمه هذا الجيش الذي أنشأه السلطان أورخان، إلا أنه عندما وثب هذا الجيش إلى مركز القيادة في الدولة، فأصبحوا هم الآمرين الناهين والسلطان ألعوبة بأيديهم، ظهر الفساد، وضاعت البلاد وأدخلت في معارك ما كان لها أن تدخلها.

تآمر الدول الأوروبية على الدولة الإسلامية، وقد سلكوا لذلك عدة طرق، فقد أثاروا النعرات القومية والوطنية والاستقلالية، وحرَّكوا أهل البلاد على الدولة الإسلامية، ودعموها بالمال والسلاح. وقد ركزت بريطانيا جهودها في مسألة العرب والترك، ووعدت العرب بخلافة عربية، ومراسلات الحسين مكماهون، وتأكيد بريطانيا أنها تعترف باستقلال الدول العربية وقبولها للخلافة العربية.

ولأن الغرب كان ينظر للدولة العثمانية بأنها عائق كبير أمام مصالحها، وحتى أمام وجودها كمبدأ في هذا العالم، وتطبيق مشاريعها؛ لذلك عُقد مؤتمر كامبل بانرمان عام ١٩٠٥م، واستمرت جلساته حتى ١٩٠٧/٥/١٤م بدعوة سرية من حزب المحافظين البريطانيين، وقد ضمَّ هذا المؤتمر عدة دول (بريطانيا- فرنسا- هولندا- بلجيكا- إسبانيا- إيطاليا) حيث افتتح رئيس الوزراء البريطاني هنري كامبل بانرمان بكلمة مطوَّلة قال فيها مخاطبًا الحضور «**إن الإمبراطوريات تتكوَّن وتتَّسع وتقوى ثم تستقرُّ إلى حد ما، ثم تنحلُّ رويدًا رويدًا، ثم تزول، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات -كروما، والهند، والصين وغيرهم- فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي، وانهياره أو تأخر مصيره؟**»

وفي آخر هذا المؤتمر الذي يعتبر أخطر مؤتمر حصل لتدمير الأمة الإسلامية ومنع نهضتها، هو العمل على عدم الاستقرار فيها؛ حيث قالوا إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب، والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية، وملتقى طرق العالم. ولعلَّ أبرز ما جاء في توصياته نقطتان:

- إبقاء شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة متأخرة، وهذا ما طبَّقوه علينا إلى هذا اليوم، فقد منعوا العلوم والمعارف والتقنيات أن تصل إليها، أو أن نحصل عليها، وكلما حاولنا نجد نواطيرهم يمنعون ذلك! بكل ما لديهم من قوة.

- محاربة أي توجُّه وحدوي؛ لذلك هم دعوا

إلى قيام كيان غريب في فلسطين لأنها هي نقطة الوصل بين قارتي أسيا وأفريقيا، وعلى أن يعمل هذا الجسم الغريب على تفرقة وجعل المنطقة برمتها في حالة عدم الاتِّزان، وقد حقَّق الكيان الصهيوني لهم هذه المطالب، بل وذهب إلى أبعد مما كانوا يتوقعون، وحالنا اليوم يشرح نفسه، ويظهر مدى المكر الذي كُبِّلنا فيه.

وقد بدأت عملية تقاسم تركة دولة الخلافة العثمانية مع بداية الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤م، أي بدأت مع بداية الحرب، وقد كانت هناك لقاءات سرية بين المملكة المتحدة وفرنسا بعلم من الإمبراطورية الروسية، لأجل تقسيم منطقة الهلال الخصيب لأنهم كانوا متأكدين من الفوز في الحرب لما زرعوا من خونة وشقاق داخل نسيج الدولة العثمانية، وقد تم الاتفاق على جميع البنود بين الطرفين بمصادقة الإمبراطورية الروسية بما عرف باتفاقية (سايكس بيكو) في ١٩١٦/٠٩/١٦م؛ ولكن مع وصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام ١٩١٧م، تمَّ فضح هذه الاتفاقية، ومع ذلك لم يكن هناك عوائق تذكر أمام تنفيذها. وبعد الاتفاق على الحصص وتقاسمها بينهم، انتقل الصراع إلى صراع غربي غربي، أي أصبح الصراع: من يستطيع أن يأخذ من حصص بعضهم البعض أكثر، وبدأت حقبة الاستعمار المباشر.

وبعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت قوة جديدة على الساحة الدولية، هي الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الدولة لم يكن لها حصص من تركة الخلافة العثمانية؛ لذلك ومع بدء ظهورها على الساحة الدولية، رفعت شعار حق الشعوب في التحرُّر، وبدأت تدعم الثورات العربية ضد وجود الاحتلال؛ وهذا ليس بسبب حسها النبيل، بل طمعًا منها بأخذ هذه الحصص إلى صالحها.

وبسبب رغبة الشعوب القوية بالاستقلال ورفضها للمحتل وتقديمها الشهداء في سبيل ذلك، ومع أن جميع الثورات كانت تنحرف لتأخذ طابعًا وطنيًّا، إلا أنَّ ذلك أجبر الاستعمار على الانتقال إلى حقبة جديدة ألا وهي الاستعمار غير المباشر، وذلك للالتفاف على الثورات، وتجلَّى ذلك في مغادرة المستعمر بعد أن نصَّب عملاء له يديرون البلاد نيابة عنه، ويضمن حقوقهم ومصالحهم، وتخطيطهم هو أن يقضوا على كل مخلص، ومحاربة الإسلام، والسيطرة على رموز الثورة الحقيقيين، والتخلُّص منهم ونهب ثروات البلاد، والعمل على إبقاء هذا البلاد متخلِّفة وعاجزة عن أي نهضة في أي مجال، وجعل شعوب هذه البلاد تعاني في الحصول على لقمة العيش، وبثِّ شروش الفساد في كل المجالات على الإطلاق.

هذا وقد وضع الغرب خطوطًا أساسية تكاد أن تكون واحدة في كل بلد نال الاستقلال، وهي الركائز التي اعتمد عليها للحيلولة دون وحدة الأمة ودون عودة الإسلام إلى سدَّة

الحكم؛ ولذلك كان الصراع بين الدول الغربية على استقطاب عميل مكان آخر، هي الحرب التي كانوا يمارسونها بين بعضهم على أراضينا ووقودها شعبنا، وضمن هذا الصراع لا يخافون من صحوة الأمة بسبب وجود هذه الركائز التي سوف نعرج على بعضها:

تعيين طاغوت يحكم البلاد:

الطاغوت هو الذي يشرِّع التشريعات ويقنن القوانين ويقدم كلامه على كلام الله تعالى، فهو يشعر أن له الحقَّ في أن يشرِّع للناس شرائع يسنُّها مجلس الشعب أو النواب أو الرئيس... فكلُّها تتبع لصاحب الصلاحية، وهو الطاغوت، سواء أكان حاكمًا للدولة أم من عمل على تنصيبه من طواغيت. فتعيين الطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله جعله الغرب من الخطوط الحمراء التي يجب أن لا تمسَّ، ولا يطمئن الغرب إلا أن تكون الأمة بعيدة عن مسِّها. ولما تحركت الأمة في ثوراتها تريد التغيير تحرك معها الغرب وركب الموجة وأبعدهم عن هذا الخط الأحمر بأن سمح لهم بتغيير طاغوت بطاغوت آخر، مع تحسين في الشكل فقط. ومع هذا التغيير، نرى أن الغرب يحرص ويصرُّ على إبقاء الدستور مستمَدَّة أحكامه من الديمقراطية وترك سن القوانين للناس عبر المجالس التمثيلية.

سن القوانين:

لقد حاول الغرب **بوجود الخلافة** تغيير القوانين فلم يستطع، فأدخل بعضًا منها وقام بفصل المحاكم، فأصبحت محاكم أحوال شخصية، ومحاكم مدنية، وكان هذا تهيئة لإدخال وجهة نظره (فصل الدين عن الحياة). **وبعد سقوط الدولة** تمَّ ترك محاكم الأحوال الشخصية وفق أحكام الإسلام، وتم تغيير جميع القوانين المدنية باستبعاد الشريعة الإسلامية كليًّا، وبدأ بسنِّ القوانين أو أخذها من الدول المستعمرة التي طبقت قانونها على البلاد التي استعمرتها. **وبخديعة ما يسمَّى بالاستقلال،** تم تشكيل هيئات ولجان محلية حتى يوهم أهل البلاد أن أبناءهم هم من وضع الدستور، وكانوا يرفعون شعار (يُعدُّ الفقه الإسلامي مصدرًا للتشريع) وهذا الشعار لم يكن له في الحقيقة سوى مجرد ذكره ضمن دفتي الدستور، أما في الواقع العملي فلم يكن له أي أثر تشريعي، وهذه قد تم إلغاؤها من أغلب الدساتير الحديثة.

ومعلوم أن خطر الدستور الوضعي هو أنه تشريع من دون الله، وهو أول دلالات بعد الأمة عن الشرع، وهذا من أهم المؤشرات لدى الغرب أنهم ما داموا يضعون لنا الدساتير فهم بألف خير؛ لأننا حينها أبعد ما نكون عن الإسلام السياسي، وعن أي وحدة أو عودة لحياتنا الإسلامية التي ترضي رب العباد.

ومعلوم كذلك أن الدستور هو وسيلة هامة ترسم صورة الحياة في الدولة وتحدِّد حركتها ونظرتها لحياتها وترسم على ضوئه مستقبلها، وبما أن الدساتير وضعها الغرب ابتداء وفرضها

على المسلمين في بلادهم التي قسمها إلى دول، فإننا نرى أن هذا الغرب الماكر يسهِّل إجراء تغييرات في هذه الدساتير لتبقى تخدم مخططاته ومصالحه وأهدافه المستقبلية، لا مصالح وأهداف أهل المنطقة، ومن ذلك وعلى سبيل المثال أصرَّ في التغييرات الحديثة على إلغاء أن يكون التشريع الإسلامي مصدرًا للتشريعات، وخاصة بعدما رأى من توجُّه قوي لدى الأمة ورغبة جامحة بالعودة إلى الحياة الإسلامية الكاملة، وسنَّ فيها ما يراعي وجود الطوائفية والمذهبية والعرقية ليبقي بلاد المسلمين عرضة لتدخله في إثارة النعرات وإيجاد المنازعات الداخلية التي يعمل على تغذيتها بالتوقيت الذي يريد، ويجعل حدود الدم تشتعل والتفرقة تسود حتى داخل البلد الواحد.

القبضة الأمنية:

منذ إنشاء الدول القومية كبديل عن الاستعمار المباشر، وتنصيب طواغيت وسنِّ قوانين، كان لا بدَّ من وجود قبضة أمنية محكمة الصنع تفضي لحماية هذا الطاغوت، وتبقي الأمة بعيدة كل البعد عن التغيير، وتبعدها عن قضاياها الأساسية. وباعتبار أن كل الحكومات هي حكومات دكتاتورية كان لا بد من إقامة أجهزة مخابرات تساعد على تثبيت الحكم، وتعمل على درء أي خطر داهم من الأمة على هؤلاء الطواغيت؛ فتقوم بمراقبة نبض الشارع وإحصاء الأنفاس على الناس، واستعمال سياسة القمع والتخويف كسبيل وحيد لاستقرار الحكم لهؤلاء الطواغيت. ولأهمية هذه القبضة الأمنية في بلاد المسلمين، نرى أنه غالبًا ما يكون المسؤولون عن إدارة هذه المخابرات موصولين مباشرة برئيس الدولة، بل وبالمخابرات الخارجية التابعة لها هذه الدولة.

ولأن هذه القبضة تؤمِّن أمن الحاكم، وتؤمِّن له التخلُّص من المخلصين، فإن المسؤولين في هذا الجهاز يتغيَّرون مع تغيُّر الحاكم، وعليه فهم جسم لصيق به، وكل حاكم له جهازه الأمني الخاص به، ويعتبر صمام أمان له وللدولة التي هو عميل لها، ويبقى عمل هذا الجهاز الأساسي هو إبعاد الناس من الاقتراب من الخطوط الحمراء التي وضعها الغرب، ومهما تبدَّلت الأنظمة الطاغوتية تبقى القبضة الأمنية هي يدها التي تبطش ولا يستغنى عنها، ويبقى من أهم أعمالها الاتصال المباشر والتعاون المشترك مع المخابرات الدولية الراعية بشكل خاص.

المؤسسة العسكرية:

توضع المؤسسة العسكرية تحت سيطرة الحاكم، وهي تصنع بعناية شديدة ومراقبة دائمة، وتُسلَّط على الداخل، وهي إذا سلِّطت على الخارج فلخدمة الدولة الغربية الراعية لها فقط. وتُجعل التراتبية العسكرية حسب الولاء للحاكم، وبتزكية من الدولة الراعية، فهي مؤسسة قمعية بامتياز، وعملها الأساسي حماية الحكم والحاكم، وتنفيذ مخططات الدولة الغربية. وفي خضم الحَراك الشعبي الحالي، فقد كانت المؤسسة العسكرية هي

صمَّام الأمان لانتقال الحكم إلى اليد الآخرى، وعدم خروجها عن النفوذ، وهي من أهم الأوراق التي استهلكت للالتفاف على الثورات، ولا يطمئن الغرب إلى بقاء الحاكم العميل له إلا إلى هذه المؤسسة، إلى جانب القبضة الأمنية المخابراتية. وهذا ما دفع الغرب إلى فرض موادَّ جديدة في الدساتير لمنع حدوث أي تغيير للنظام عبر هذه المؤسسة يقوم به المخلصون فيها، ومنها أن الانقلاب العسكري عبر الجيش غير معترف به قانونيًا ولا دوليًا.

مصادرة المؤسسة الدينية ودار الإفتاء:

قام الغرب بوضع الإسلام تحت وصاية النظام السياسي القائم، وتمَّ إيجاد وزارات للشؤون الدينية ومراكز للفتوى من أجل توظيفها في خدمة النظام الحاكم، وتمَّ اصطناع رجال دين يخدمونهم، وتمَّ التلاعب في المناهج التي تخرِّج ما يسمى برجال الدين التي تولَّت كبر الدعاية إلى طاعة ولي الأمر! حتى لو خالف الدين نفسه، ووضع كلامه أعلى من كلام الله! والتي راحت تلوي عنق النصوص لتكون في خدمة سياسته وسياسة أسياده الكفار، وراحت هذه المعاهد والجامعات الشرعية تضمن تخريج رجال دين متشرِّبين لأفكار الحاكم وخاضعين له، ومصالح هؤلاء (رجال الدين) مجابة، ويتم اختيارهم وانتقاؤهم ليكونوا رجال دين مخلصين للدولة وليس للدين! وعملوا عن طريق هؤلاء على إبعاد الناس عن الإسلام السياسي، ومحاربة الداعين له، وعملوا على تكريس فكرة أن الإسلام هو دين تعبدي مثله مثل الدين النصراني والدين اليهودي. فهؤلاء كانوا كما رسم الغرب لهم: أداة بيد النظام لإصدار الفتاوى التي تخدم مصالح الحاكم والغرب على حد سواء، وهذا ما جعلهم مِعول هدم لهذه الأمة بينما عملهم الأساسي والحقيقي هو بناء النهضة الصحيحة لهذه الأمة؛ وعليه كان وجودهم هو من ضمانات الخطوط الحمراء التي وضعها الغرب. وإذا ما شذَّ أحدهم فالقبضة الأمنية حاضرة.

إيجاد عدو مصطنع يستنزف الدولة:

لقد خطَّط الغرب من أجل إدامة سيطرته على بلاد المسلمين أن يكونوا في مواجهة عدوٍّ مصطنع بشكل دائمي؛ وذلك من أجل أن يستنزف جهود الأمة وإمكاناتها، وليكون ذريعة لنهب خيرات الأمة وبثِّ الرعب في داخلها، وهذا العدو على نوعين: عدو داخلي، وعدو خارجي.

أما العدو الخارجي: فكان هو الكيان الصهيوني بشكل رئيسي الذي أنشأه الغرب ليكون خنجرًا مغروزًا في صدرها يستنذف إمكانات الأمة وطاقاتها في مواجهته من قبل أنظمة طاغوتية مصطنعة مثله تدعي كذبًا ونفاقًا أنها تعاديه، فيتم استنزاف موارد الأمة بحجة التسلح من أجل القضاء عليه، والتجهُّز للمعركة القادمة معه، وتجعل من القضية الفلسطينية وتحرير الأقصى شماعتها التي تلهي بها الشعوب، وتقيم عداواتها وصداقاتها مع الدول الأخرى عبر تحالفات تتزيَّن بشعارات كاذبة خاطئة (الصمود والتصدي)

و(الممانعة والمقاومة) فلا هي حرَّرت شبرًا من أرض، بل شكلت في الحقيقة سياج حماية لهذا الكيان الغاصب؛ حيث أصبحت الحدود المشتركة معه هي الدرع الحصين الذي يحصِّن وجوده ويؤمِّن حدوده... وبمجرد أن تبدَّلت سياسة الأسياد الغربيين وتحولت من العداء لـ(إسرائيل) إلى إيران فسرعان ما تحول هذا (العدو الكبير) إلى أعزٍّ صديق لهذه الأنظمة، وانكشف (التعاون الكبير) المستتر معه في المجال الأمني والسياسي الذي كان يجري من تحت الطاولة. ولكم أن تتصوروا كم استهلك هذا العداء الخادع من جهود وإمكانات، تارة تحت ذرائع وطنية، وتارة تحت ذرائع دينية زائفة...

أما العدو الداخلي: فقد قاموا بإنشاء جماعات باسم الدين لتقوم بأعمال تخريبية باسم الدين، ضمن أجندة داخلية للنظام أو خارجية لدول الكفر، والهدف منها إبعاد المسلمين عن تبنِّي قضاياهم المصيرية على أساس دينهم، وإبعادهم عن التعامل مع دينهم على أنه مشروع حياة فيه شريعة ونظام حكم، وتوسيع الفجوة بين الأمة وبين أي حركة أو جماعة أو حزب يعمل أو يحاول أن يعمل على إعادة الإسلام إلى الحكم، ومقابل ما تقوم به هذه الجماعات من أعمال تخريبية باسم الدين تقوم بسن قوانين جديدة تعطي الغرب، وبالتالي الأنظمة العميلة له، تسمح بضربه والتهجم عليه، وتسمح للغرب بالتدخل بحجة مكافحة الإرهاب، كل ذلك في إطار ما يسمَّى بالحرب على الإهاب الذي يقصد به الإسلام السياسي أو إسلام الحكم.

هذه الركائز تكاد تكون واحدة في كل دول المسلمين مهما اختلفت وجوه العمالة فيها، وهي ركائز وضعها الغرب منذ إنشاء الدول القومية ذات الاستقلال المزيَّف؛ ليضمن استمرار استعماره وسيطرته عليها، وهذه الركائز جعل منها الغرب خطوطًا حمراء يمنع تجاوزها...

لذلك، عندما تحركت الشعوب ضد أنظمة الظلم والقهر بما يسمى بـ(الربيع العربي) نجد أن الغرب وأدواته من الحكام تحركوا بسرعة شديدة، وقاموا باستيعاب الوضع بحركات مدروسة عرفت بـ(الثورة المضادة) والتي استخدموا فيها أنظمة عربية ادَّعت أنها مع هذه الثورات، وراحت تمدُّها بالمال السياسي القذر وتدعمها إعلاميًا وإنسانيًا، فتمَّ بها خداع الشعوب الثائرة، وكان من أبرز هذه الدول المجرمة المخادعة والتي قامت بأدوار قذرة هي قطر والسعودية وتركيا... وكل هذا كان يحدث بتخطيط من الغرب، فالجزَّار هو الغرب، والسكين هي هذه الأنظمة الخائنة، والضحية هي الأمة.

إن الأمة عندما قامت على الأنظمة إنما قامت على كل من هو مسؤول عن مآسيه من الغرب إلى الحكام الطواغيت العملاء له، إلى الأنظمة الدستورية الطاغوتية التي تحكم بغير ما أنزل الله، ومخطئ من يظن أن الامة فشلت أو هي في طور الاستسلام نتيجة هذا التآمر

الدولي الخبيث والعميق؛ إذ ما زالت الأسباب التي دفعتها للثورة قائمة بل وتأكَّدت أكثر، وظهر للأمة أكثر أن الغرب وعلى رأسه أمريكا يشنُّ حربًا عالمية لا تهدأ على إسلام الحكم، وأن مآسي المسلمين اليوم تنتشر في كل أصقاع العالم، وشعار هذا الإجرام بحق الأمة إنما هو شعار أصحاب الأخدود ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾. وبما أنه لا شيء تغيَّر للأحسن بعد كل ما نراه من إجرام، إذًا فإن الأمة لن تستسلم بل ستمضي بهدي من الله نحو التغيير الذي يرضي الله سبحانه، لقد ذهبت الأوضاع إلى الأسوأ؛ وذلك ليس بفعل الثورات بل بفعل الغرب وعملائه الذين مضوا في التعامل مع هذه الثورات بسياسة الأرض المحروقة، سواء في سوريا أم في اليمن أم في العراق، أم في مصر... فكان الموت والقتل والتشريد والتجويع للناس من هذه الأنظمة ومن وراءها، وهذا لا يخفى على المسلمين، ومهما حاول الإعلام المأجور أن يطمس هذه الحقائق ويصوِّر الضحية بمظهر الجلاد والجلاد بمظهر الضحية، فإن الأمة باتت واعية وستفاجئ الجميع وأولهم الغرب، بأنها إن كانت قصيرة اليد فإنها لم تكن عامية عن تآمره وإجرامه، بل كانت بصيرة العين، ولا بد أن يشق فجر الإسلام نوره عما قريب إن شاء الله تعالى.

إذا كان الغرب قد استطاع إلى حد ما ركوب ظهر الثورات، فإن الأمة سرعان ما ستوقعه عنها، وتناجزه حقَّها، وإن الأمة ليست بعيدة عن ذلك، ففي دينها خلاصها، وهي لا تحتاج إلَّا إلى أن يقوم أهل نصرة لهذا الدين من أبنائها ويقلبوا الأوضاع على رأس أعدائها ويعطوا قيادة الأمة إلى الثلة الواعية المخلصة التي تمسَّكت بكتاب الله وسنَّة رسوله وجعلت إقامة الخلافة نصب عينيها، فتقوم الدولة التي تقف في وجوه الدول قاطبة ومعها إيمانها بالله الذي تغلب به كل من يواجهها ويعاديها، فتقوم بهدم الخطوط الحمراء، وترفع يد الغرب عن التدخل في أمور حياتنا وديننا. فهل هذا ممكن الحدوث؟ إنه لممكن، بل إنه لواجب، ومن ضمن التكليف، وإنه للحل الوحيد، وفيه المخرج الوحيد، وإنه لأقرب من رد الطرف، بعون الله وحده. فقط مفتاحه أن يهدي الله ثلة الخير من أهل القوة لتقوم مع ثلة الخير من أهل الدعوة التي تدعو وتعمل لإقامة الخلافة؛ ليكونا معًا كما كان حال المهاجرين مع الأنصار في إقامة الدولة الإسلامية الأولى زمن الرسول، فتقوم الدولة الإسلامية الثانية في زماننا وتتحقق بشرى رسول الله: «**ثم تكون خلافة راشدة**».

وقال الله سبحانه وتعالى عن المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

غربة الإسلام وتجديده وحزب التحرير (٣)

حامد عبد العزيز

إن عملية تجديد الدين هي من أهم المواضيع المطروحة اليوم في واقع حياة المسلمين، يطرحه أعداء المسلمين، ومن الغرب خاصة، عبر أدواته من الحكام العملاء له، وهؤلاء يحركون هذا الموضوع عبر العلماء التابعين لهم، ويريدون به قصر الإسلام على الناحية الفردية، وإبعاده عن الحكم فيما بات يعرف اليوم بالإسلام السياسي (الإسلاموية)، ويطالبون من خلاله بتعديل الخطاب الديني بما يضمن لهم ذلك. ومن أجل فرض ذلك، يقيم الغرب حربه العالمية على الإسلام تحت شعار (الحرب على الإرهاب)... **وفي المقابل** يطرحه المسلمون الواعون المخلصون يريدون بذلك إرجاع الدين إلى مضائه ونقائه وصفائه تمامًا على الذي أنزل عليه، معتمدين على حديث الرسول ﷺ الصحيح: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء**» معتبرين أن إقامة الخلافة الراشدة هي الطريقة الوحيدة التي يتم فيها تجديد الدين وبشكل عملي يعيد الإسلام مطبقًا في واقع الحياة... وفي هذا المقال، والذي كنا قد عرضنا من قبل ما يتعلق بالتجديد على صعيد الحكم، وصعيد النظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، وسياسة التعليم... وفي هذا العدد سنطرح ما يتعلق بالسياسة الخارجية، وعلى صعيد تحرير المصطلحات والتعريفات الشرعية، وهذا ضروري لأنه بها ينضبط الفهم الصحيح، كتعريف العقل والنهضة والمجتمع، والعقيدة، ودار الكفر ودار الإسلام.

- على صعيد السياسة الخارجية:

١-حكم الشرع في المنظمات والهيئات الدولية:

بعد هدم الخلافة الإسلامية، هيمن الغرب على الحياة السياسية في العالم وفرض وجهة نظره على الحياة، وأخرج للعالم مجموعة من المنظمات والهيئات الدولية بهدف السيطرة على أي حراك دولي يهدد وجوده، كعصبة الأمم المتحدة التي صارت بعد ذلك هيئة الأمم المتحدة، وهي ليست في الواقع أممًا متحدة، بل هي منظمة غربية تمسك الدول الكبرى بتلابيبها وتكبِّل الشعوب والأمم الأخرى التي تسعى للانعتاق من تبعية الغرب وسيطرته بمجموعة من القوانين والقرارات تصبُّ في صالح تلك الدول. وبرغم أن كل الدول التي تشكَّلت على أنقاض الخلافة قد انضوت تحت لواء تلك المنظمة وما تفرَّع عنها من هيئات، ورضيت بقرارتها وحرصت على تنفيذها، وتعهَّدت باحترام القوانين الدولية التي فرضها المنتصرون، وبرغم أن الكثير من أبناء الأمة اعتبر تلك المنظمات واقعًا محتومًا لا فكاك منه، وإذا تعرضوا لمصيبة أو بلاء يستهدف وجودهم وكيانهم تراهم يلهثون وراء المنظمات الدولية والدول الكبرى لحلِّ

مشكلتهم، وخير مثال على ذلك قضية فلسطين وكشمير والبوسنة والهرسك وغيرها الكثير. إلا أن حالة الغربة تلك واستبعاد الإسلام من العلاقات الدولية بعد غياب دولته، تصدَّى لها **حزب التحرير**، وأعلن بكل وضوح أن للإسلام رأيًا في تلك المنظمات الدولية، وهو التحريم قطعًا، وعدم جواز التحاكم لها ولقوانينها؛ لأن هذه المنظمات تقوم على أساس يتناقض مع أحكام الإسلام، ولأنها أداة بيد الدول الكبرى، خاصة أمريكا، تسخِّرها لتحقيق مصالحها الخاصة، وهي وسيلة لإيجاد نفوذ الكفار على المسلمين وبلادهم، وذلك لا يجوز شرعًا؛ لأن الوسيلة إلى الحرام محرمة، وأن للإسلام أحكامه الخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدولية.

هذا وقد بيَّن الحزب بشكل قاطع أن ما يسمى بالقانون الدولي قد أنشئ وأوجد ضد الدولة الإسلامية التي كانت تتمثل بالدولة العثمانية، فالأسرة الدولية أو العائلة الدولية هي في أصلها مبنية على أساس العائلة الدولية النصرانية الأوروبية، والقانون الدولي هو في أصله المعاهدات المعقودة بين الدول النصرانية والعرف السائد في المجموعات النصرانية الأوروبية. فإطلاق اسم العائلة الدولية على الدول النصرانية الأوروبية وحدها يعتبر تزويرًا وتضليلًا؛ لأن العالم ليس الأسرة الدولية النصرانية الأوروبية فحسب، وإطلاق اسم القانون الدولي على معاهدات وأعراف الدول النصرانية وحدها كذب وتزوير؛ لأن الأفكار التي تصلح أن تكون قانونًا دوليًا ليس معاهدات وأعراف الدول النصرانية الأوروبية فحسب، بل الأفكار التي تصلح لذلك هي مجموعة الأعراف الموجودة بين المجموعات الموجودة في العالم كله، والاتفاقات والمعاهدات التي تعقد بين مجموعات البشر في العالم كله، كما وبيَّن للأمة أن الدول كلها عدوة للإسلام؛ لأنها تعتنق ديانات ومبادئ تناقض الإسلام، ولها وجهة نظر في الحياة تخالف بل تناقض وجهة النظر الإسلامية، والدول الكبرى بنوع خاص تزيد على ذلك بأنها تطمع في البلاد الإسلامية، ولذلك قضت على الدولة الإسلامية للقضاء على الأمّة الإسلامية، ورسمت الخطط البعيدة المدى للحيلولة دون عودة الدولة الإسلامية إلى الحياة، وبالتالي لتَحول دون عودة الأمّة الإسلامية أمّة عظيمة بين الأمم، وبالطبع ترسم الخطط وتبذل الجهود لوأد الدولة الإسلامية في مهدها، وقبل أن تتحرك الأمّة الإسلامية لمؤازرتها وحمايتها، وستظلُّ دائبة على مقاومة الأمّة الإسلامية، ومقاومة قيام الدولة الإسلامية قائمة. وإذا كانت معرفة السياسة الخارجية لكل دولة في العالم أمرًا لا يستغني عنه كل سياسي مسلم، فإن إدراك كُنه، وخفايا، وخطط، وأساليب، ووسائل الدول الكبرى أمر بالغ الأهمية لكل مسلم بشكل إجمالي، ولكل سياسي بل مفكر مسلم بشكل تفصيلي واقعي سائرًا مع الأحداث اليومية المتغيِّرة، والمتجدِّدة، مع بقاء التصوُّر الكامل للأسس والقواعد التي تقوم عليها سياسة أي دولة كبرى، من أجل إدراك الأخطار، ودوام العمل لأمن البلاد، أي لأمن الدولة والأمّة الإسلامية.

٢-الجهاد والسياسة الخارجية للدولة:

لم يتعرض حكم شرعي للهجوم من قبل أعداء الأمة كما تعرض حكم الجهاد؛ ذلك لكونه السبب الرئيس الذي بسببه تعرض أعداء الأمة للقهر والذل فيهِ وبالدعوة إلى الإسلام امتدَّ العالم الإسلامي شرقًا وغربًا. وتلك الضربات القاصمة التي تلقَّاها الكفار دفعتهم للهجوم على فكرة الجهاد بعد أن يئسوا من قدرتهم على التصدي لقوة الجيوش الإسلامية وقوة العقيدة القتالية التي يحملها أبناء الأمة في مواجهة أعدائها. وطوال التاريخ الإسلامي لم تضعف فكرة الجهاد في نفوس المسلمين أبدًا، حتى بعد ذهاب دولتهم وغياب الراعي والحامي الذي يقاتل من ورائه ويتَّقى به، فقد استمرَّ المسلمون في رفع لواء الجهاد، ولكن هذه المرة ليس لنشر الإسلام بل للدفاع عن أراضيهم وأعراضهم، ولم يهنأ المستعمرون يومًا في بلادنا، فقد ظهر مجاهدون عظام تصدَّوا لهم بكل قوة وبما هو متاح في أيديهم ولو كان أقلَّ القليل، كعمر المختار وعبد القادر الجزائري والحركة المهدية في السودان وغيرهم الكثير، حتى بعد أن استقر الوضع في بلادنا للكفار لم تتوقف عجلة الجهاد والمقاومة أبداً؛ ولذا حرص الغرب على أن يُخرِّج من بيننا عملاء فكريين ومشايخ باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، فحملوا لواء الهجوم على فكرة الجهاد، وبدأنا نسمع عن أن الجهاد شرع في الماضي لإزالة الحواجز المادية، والآن الحواجز المادية مزالة، وبالتالي فلا حاجة له. أو أن الجهاد إنما شرع للدفاع فقط، بل تطوَّر الأمر عندهم حتى أصبح القتال من أجل الدفاع إرهابًا.

حرص الحزب في ثقافته على إعادة البهاء والصفاء والنقاء لفكرة الجهاد، وبيَّن أنه هو الطريقة العملية لنشر الإسلام، وقرَّر أن السياسة الخارجية في الدولة الإسلامية تقوم على أساس فكرة ثابتة لا تتغير، وهذه الفكرة هي نشر الإسلام في العالم، في كل أمة وكل شعب. فقد حدَّد الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم من الكفار خارج حدود الدولة الإسلامية بأحكام نشر الرسالة الإسلامية بالتبليغ وإقامة الحجة والجهاد، وهذه هي طريقة حمل الدعوة الإسلامية رسالة إلى العالم أجمع. فلم يعترف المسلمون في أي وقت من الأوقات بالأطر السياسية التي كانت تنظم علاقات الدول التي وجدت في عهودها المتعاقبة، ولم يكونوا في يوم من الأيام جزءًا من أية منظومة سياسية عالمية أو إقليمية، بل كانوا دومًا ينتهجون سياسة مستقلة تمامًا، ترتكز على الأحكام الشرعية الجهادية.

٣-التأصيل لمفهوم السياسة:

بعد أن كانت السياسة هي طعام وشراب المسلمين، ليس فقط للخليفة والولاة والعمال والوسط السياسي، بل كانت كذلك عند العلماء وحتى العامة، أصبحت السياسة في زمن الغربة الأخير عند الكثيرين يستعاذ بالله منها، كما قال أحدهم، بل إن الكلام فيها ينقض الوضوء ويوجب الغسل كما قال آخر؛ إذ تم الترويج على أن السياسة هي فن الكذب والخداع

والمؤامرات. ولقد أعاد الحزب للسياسة من جديد مفهومها الشرعي الذي هو رعاية شؤون الأمة داخليًا وخارجيًا، وتكون من قبل الدولة والأمة، فالدولة هي التي تباشر هذه الرعاية عمليًا، والأمة هي التي تحاسب عليها الدولة. ورعاية شؤون الأمة داخليًا من قبل الدولة تكون بتنفيذ المبدأ في الداخل، وهذه هي السياسة الداخلية. وأما رعاية شؤون الأمة خارجيًا من قبل الدولة فهي علاقتها بغيرها من الدول والشعوب والأمم، ونشر المبدأ في العالم، وهذه هي السياسة الخارجية.

ولقد وضع الحزب كتابي (مفاهيم سياسية) و(نظرات سياسية) ليؤصِّل لمعنى جديد للسياسة في هذا العصر يختلف عما يسود العالم من كذب ونفاق، وكان تأسيس الحزب كحزب سياسي يتعاطى السياسة بمفهومها الشرعي أكبر تحدٍّ قام به الحزب للغرب، ليواجه من خلاله الخطط والألاعيب السياسية لدول الغرب الكافر المستعمر في بلادنا، وليكشف عملاءه في بلادنا وتآمُرهم على البلاد والعباد، ولم تتوقف أبدًا معارك الحزب السياسية التي خاضها طوال ما يقارب الستة عقود، ومما يذكر للحزب في هذا المجال كشفه لعمالة جمال عبد الناصر والخميني والملك حسين وغيرهم، وفضحه لمخططاتهم، كمخطط فصل جنوب السودان والضفة الغربية، وتعريته للنظام الرأسمالي ومن قبله النظام الشيوعي الذي عرَّاه الحزب تمامًا وبيَّن تهافته.

٦- على صعيد التعريفات:

تميَّز **حزب التحرير** بتحرير المصطلحات والتعريفات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾، وإن أيَّ تعريف أو مصطلح يجب أن يكون جامعًا مانعًا، واستطاع الحزب أن يقوم بتحرير مجموعة من التعاريف والمصطلحات بشكل لم يسبقه إليه أحد كما سنبيِّن الآن. ومثل هذه التحرير ضروري جدًا؛ لأنه يشكل مناط حكم لأفكار إسلامية وأحكام شرعية هي أشد ما يحتاج إليها المسلمون اليوم في مثل هذه الأيام الصعبة التي تمرُّ بها الأمة وتحتاج فيها إلى التجديد.

١-تعريف العقل:

صحيح أنه قد وجد من يحاول إدراك واقع العقل من علماء المسلمين، ومن علماء غير مسلمين في القديم والحديث، ولكنهم أخفقوا في إدراك واقعه. ووجد من يحاول رسم طريقة للتفكير، ولكنهم وقد نجحوا في نواحٍ من ثمرات هذه الطريقة بالمنجزات العلمية ولكنهم ضُلِّلوا عن معرفة التفكير من حيث هو تفكير، وضَلَّلوا غيرهم من المقلدين الذين بهرهم هذا النجاح العلمي. ومن قبل، منذ أيام اليونان ومَن بعدهم، اندفعوا في الوصول إلى التفكير فوصلوا إلى ما يسمى بالمنطق، ونجحوا في الوصول إلى بعض الأفكار؛ ولكنهم أفسدوا المعرفة من حيث هي معرفة، فكان المنطق وبالًا على المعرفة بدل أن يكون _ كما أريد له _ سبيلًا للوصول إليها ومقياسًا لصحتها.

سلك الحزب الطريق المستقيم الذي يؤدي

إلى معرفة معنى العقل معرفة يقينية جازمة، وهو أنه لا بد من وجود أربعة أشياء حتى تتم العملية العقلية، أي حتى يوجد العقل أو الفكر. فلا بد من وجود واقع. ولا بد من وجود دماغ صالح، ولا بد من وجود حسٍّ، ولا بد من وجود معلومات سابقة. فهذه الأربعة مجتمعة لا بد من تحقُّقها جميعها وتحقق اجتماعها، حتى تتمَّ العملية العقلية، أي حتى يوجد عقل أو فكر أو إدراك. وعليه فالعقل أو الفكر أو الإدراك هو: نقل الحسِّ بالواقع بواسطة الحواس إلى الدماغ، ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع.

ورأى الحزب أن هذا التعريف هو وحده التعريف الصحيح، ولا تعريف غيره مطلقًا، وهذا حق فهو تعريف مطابق لواقع العقل، وهذا التعريف مُلزِم لجميع الناس في جميع العصور، لأنه وحده الوصف الصادق لواقع العقل، وهو وحده الذي ينطبق على واقع العقل.

ومن خلال هذا التعريف استطاع الحزب ضبط عملية التفكير وبالتالي بيَّن دور العقل؛ إذ العقل بهذا التعريف لا يمكنه أبدًا البحث فيما وراءه، ولا فيما لا يقع عليه الحس، وبالتالي كانت الأبحاث التي أنتجها المتكلمون في المغيَّبات لا قيمة لها، وهي مجرد أبحاث لا طائل من ورائها ولم تستفد منها الأمة بل كانت وبالًا عليها، ومدعاة لتفرُّق الأمة لفرق كثيرة يكفِّر بعضها البعض، بل وتصدَّى الحزب، من خلال هذا التعريف والالتزام بما يترتب عليه، لتلك الفئة التي أرادت أن تجعل العقل حكمًا على النص، مع أن دور العقل هو فقط فهم النص، وأما دور العقل في إثبات العقيدة فهو دور كبير، وكان هذا التحديد لدور العقل المنضبط بضوابط الشرع سببًا مهمًا جدًا في صحة الاجتهادات التي قام بها الحزب في شتى المجالات؛ إذ كانت اجتهادات الحزب كلها مستنبطة من الكتاب والسنة وما دلَّا عليه من أدلة كإجماع الصحابة والقياس المبني على علة شرعية؛ ولهذا تصدى الحزب وبقوة لفكرة المصالح التي تنبني على التشهّي المتسربل بلباس العقل.

٢-تعريف النهضة:

كانت حالة الانحطاط التي وصلت إليها الأمة بعد هدم الخلافة قد وصلت إلى الحضيض، فهذا الانحطاط لم يكن فجائيًا، بل كانت له تراكمات كثيرة منذ أن تم فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية نتيجة إهمال أمر اللغة العربية، مرورًا بالغزو الثقافي والتبشيري الذي تعرَّضت له الأمة. وبعد أن استطاع الغرب أن يحقق نهضته على أساس فكرة فصل الدين عن الدولة وحقَّق ذلك التقدم العلمي والتقني والحربي، انبهر الكثير من أبناء الأمة بذلك التقدُّم، وانتشرت بين المسلمين تلك الدعوات الداعية لتقفِّي أثر الغرب حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلناه وراءهم، كما أسس لهذا زعيمهم طه حسين فيما زعموا في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي قال فيه: «إن سبيل النهضة واضحة بيِّنة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة

الأوروبيين ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومُرّها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب».

ولقد ظن البعض أن النهضة تكون بالتقدم العلمي أو الاقتصادي أو من خلال إهمال أمر الدين مطلقًا، فجاء **حزب التحرير** ليحرِّر للأمة المفهوم الصحيح للنهضة، ويبيِّن أنها الارتفاع الفكري، وأن الأفكار في أية أمة من الأمم هي أعظم ثروة تنالها الأمة في حياتها إن كانت أمة ناشئة، وأعظم هبة يتسلمها الجيل من سلفه إذا كانت الأمة عريقة في الفكر المستنير. أما الثروة المادية، والاكتشافات العلمية، والمخترعات الصناعية، وما شاكل ذلك فإن مكانها دون الأفكار بكثير، بل إنه يتوقف الوصول إليها على الأفكار، ويتوقف الاحتفاظ بها على الأفكار. فإذا دُمِّرت ثروة الأمة المادية فسرعان ما يعاد تجديدها، ما دامت الأمة محتفظة بثروتها الفكرية. أما إذا تداعت الثروة الفكرية، وظلت الأمة محتفظة بثروتها المادية فسرعان ما تتضاءل هذه الثروة، وترتدّ الأمّة إلى حالة الفقر. كما أن معظم الحقائق العلمية التي اكتشفتها الأمة يمكن أن تهتدي إليها مرة أخرى إذا فقدتها دون أن تفقد طريقة تفكيرها. أما إذا فقدت طريقة التفكير المنتجة فسرعان ما ترتد إلى الوراء وتفقد ما لديها من مكتشفات ومخترعات.

ولإدراك الحزب لمفهوم النهضة كانت هذه الجملة التي صدَّر بها الحزب أول كتاب له في منظومته الفكرية: «ينهض الإنسان بما عنده من فكر عن الحياة والكون والإنسان، وعن علاقتها جميعها بما قبل الحياة الدنيا وما بعدها؛ فكان لا بد من تغيير فكر الإنسان الحاضر تغييرًا أساسيًا شاملًا، وإيجاد فكر آخر له حتى ينهض؛ لأن الفكر هو الذي يوجد المفاهيم عن الأشياء، ويركِّز هذه المفاهيم».

ثم انتقل الحزب **لتعريف المبدأ** بأنه عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام، ليصل من خلال بحث عقلي إلى أن الإسلام هو المبدأ الصحيح الذي يجب أن تنهض الأمة على أساسه، وهو من ثَم المبدأ الذي سيقود البشرية بعد ذلك للطريق والنهضة الصحيحة التي تخرجه من البؤس والظلم والشقاء الذي تتخبط فيه البشرية منذ غاب الإسلام عن الوجود بغياب الدولة الإسلامية.

٣-تعريف المجتمع:

نتيجة الهيمنة العالمية للمبدأ الرأسمالي الذي يقوم على الفردية، هيمن التعريف المغلوط للمجتمع بأنه هو مجموعة الناس، أي أنه مكوَّن من أفراد، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع؛ لكن الحزب لم يقنع بهكذا تعريف، بل عرَّفه الحزب بأنه أناس وأفكار ومشاعر وأنظمة. وهذا التعريف عام، وهو نتيجة لدراسة واقع المجتمع من حيث هو مجتمع، ولكن على اعتبار أن المجتمع الذي نريده هو مجتمع معين متميز عن غيره من المجتمعات. فمجموعة الناس هي جماعة وليست مجتمعًا، والذي يكوِّن المجتمع هو العلاقات، وتتميز

المجتمعات عن بعضها بحسب هه العلاقات، وإلا فالناس في كل بلد هم الناس، أي هم أشخاص من بني الإنسان لا تتميَّز جماعة عن جماعة إلا بالعلاقات.

ومن هنا أدرك الحزب أن الدول تنشأ بنشوء أفكار جديدة تقوم عليها ويتحول السلطان فيها بتحول هذه الأفكار؛ لأن الأفكار إذا أصبحت مفاهيم أثَّرت على سلوك الإنسان، وجعلت سلوكه يسير حسب هذه المفاهيم، فتتغير نظرته إلى الحياة. وتبعًا لتغيُّرها تتغيَّر نظرته إلى المصالح. والسلطة إنما هي رعاية هذه المصالح والإشراف على تسييرها. ولا تكون إلا للفئة الأقوى من غيرها من باقي الفئات في المجتمع، فإذا كان الناس في منطقة متفقين في نظرتهم إلى المصالح أقاموا هم من يتولى رعاية شؤونهم، أي أقاموا هم السلطة التي تسيِّر مصالحهم، أو سكتوا لمن أقاموا أنفسهم في السلطة لتسيير مصالحهم. ومن هنا يأتي الحكم من الأمة قطعًا، إما باختيارها الفعلي، أو بسكوتها عن قيامه. والسكوت هو نوع من أنواع الاختيار. وعليه فلا بد من وجود أفكار معينة عن الحياة، ولا بد من وجود فئة قوية تحمل هذه الأفكار عن قناعة وتتقبلها برضا وحماس حتى تؤخذ السلطة.

فكان تعريف المجتمع وإدراك كيف تقوم الدول، تجديدًا مهمًّا توصل إليه الحزب، وقام يسعى لتغيير الأفكار والمفاهيم في المجتمعات في البلاد التي يعمل فيها الحزب، ويحارب الأعراف الفاسدة والتقاليد البالية، ويعمل على إيجاد رأي عام للإسلام منبثق عن وعي عام، يمكِّنه بعد استلام السلطة من أهل القوة والمنعة من تطبيق الإسلام وبناء المحتمع الإسلامي على أسس صحيحة.

٤-تعريف العقيدة:

وبما أن النهضة لا تكون إلا بالارتفاع الفكري، والفكر الصحيح الثابت القويم هو الذي يرقى به الإنسان، وتنهض به الأمم، وعليه تبنى المجتمعات وتقوم الدول؛ فلا بد من أن يكون هذا الفكر ناشئًا عن أساس روحي (العقيدة) تنبثق عنه كافة الأنظمة والمعالجات وتقاس به جميع المفاهيم عن الحياة، وتثبت عليه الحقائق وتقعَّد به القواعد.

والملاحظ أن العقيدة الإسلامية في عصر الغربة هذا لم تعد لدى المسلمين عقيدة سياسية؛ ولكنها ظلَّت عقيدة روحية. ووجهة النظر التي تشكلها لم يعد لها وجود في واقع الحياة، وإن كانت موجودة فرديًا. فأساس موطن الداء كامن في هذين الأمرين؛ في الخلل الذي طرأ على أساس المفاهيم عن الحياة وهي العقيدة السياسية، وفي الخلل الذي طرأ على تصوير الحياة الذي تشكله العقيدة السياسية، فبعد أن كان تصوير الحياة بأنه الحلال والحرام صار تصوير الحياة بأنها المنفعة.

وطريقة العلاج لا بد أن تبدأ بالعقيدة ببيان أنها عقيدة سياسية والتركيز على ذلك بشكل مؤثر من الناحية الروحية التي فيها، فهي معروفة عند الجميع، وكذلك بربطها بالأفكار عن الحياة وبرعاية شؤون الدنيا بربط الإيمان

بالله تعالى بالإيمان بالقرآن، وربط الإيمان برسالة محمد ونبوته بالسنة، ثم بعد ذلك الانتقال إلى وجهة النظر التي تشكلها هذه العقيدة، أي الانتقال إلى أن مقياس الحياة هو الحلال والحرام وأن تصوير الحياة في نظر الإسلام هو الحلال والحرام، وليس النفعية ولا التطور أو ما يسمى بالتقدمية.

ولهذا حرص الحزب على الاهتمام بالعقيدة وعرَّفها بشكل صحيح حتى لا تقع الأمة مرة أخرى فيما وقعت فيه من قبل من اختلاف وتكفير طائفة لطوائف أخرى بناء على الخلاف في مسائل ظنية، فعرَّف العقيدة بأنها هي التصديق الجازم، بينما التصديق غير الجازم ليس بعقيدة، والتصديق الجازم يوجب بل يحتم عدم قبول الظن في العقيدة، يعني إذا قال يجوز هذا فإن ذلك ليس عقيدة لأنه ليس تصديقًا جازمًا بل تصديقًا فقط، فالاعتقاد بأن القرآن كلام الله يعني التصديق الجازم بأن القرآن وحده هو الصالح لأنه وحي من الله، فالقول بأنه صالح وأن غيره صالح ليس تصديقًا جازمًا به بل تصديقًا فقط. والاعتقاد بأن الحديث إذا صح عن رسول الله هو وحده الصالح لأنه وحي من الله، فالقول بأنه صالح وأن غيره صالح ليس تصديقًا جازمًا بل تصديقًا فقط، فالعقيدة تحتِّم وجود الجزم في التصديق، فإذا فقد الجزم خرجت عنها صفة الاعتقاد. ووجهة النظر مرتبطة بالعقيدة، فإذا قيل إن الحكم الشرعي جاء للمنفعة وهذه منفعة، فإن هناك خللًا في ربط وجهة النظر بالعقيدة، فيصحح هذا الخلل بأن الحكم الشرعي دليله الشرع، أي ما جاء وحيًا من الله وليس دليله المنفعة، وإذا قيل إن الحكم الشرعي لا يصلح في هذا العصر بل كان صالحًا في العصور السابقة، والآن الصالح هو المنفعة أو القوانين الحديثة فإن هناك خللًا في العقيدة وفي ربط وجهة النظر بها، فيصحح هذا الخلل بأن الاعتقاد بوجود الله ونبوة محمد يناقض ذلك، فالخطاب في القرآن والحديث للناس في كل عصر. ثم بعد التسلم ينتقل إلى تصحيح الربط، وإذا قيل إن تصوير الحياة بالحلال والحرام لا يعارض تصويرها بالنفعية، فإن هناك خللًا في الربط، فيصحَّح هذا الخلل بأن الحلال والحرام دليله الشرع وليس المنفعة، فالمطلوب هو الشرع وليس المصلحة أو المنفعة. وإذا قيل إن تصوير الحياة بالحلال والحرام لا يناسب العصر بل الذي يناسبه المصلحة أو المنفعة، فإن هناك خللًا في العقيدة وفي الربط، فيصحَّح هذا الخلل بأن كتاب الله جاء للإنسان في كل عصر وليس في عصر معين، ثم بعد التسليم ينتقل إلى تصحيح الربط.

فالعقيدة هي أس الحياة وأصل المجتمع ومنبع النظام ومرجع للأول والآخر. وهذا ما حرص عليه **حزب التحرير** ونافح عنه، حتى أشاع البعض أن الحزب يردُّ خبر الآحاد لأنه ظني وما فهموا ما يرمي إليه الحزب، وما فرَّقوا بين العقيدة والحكم الشرعي، أو هكذا أرادوا التدليس على الأمة وحاولوا صرفها عن الالتفاف حول الحزب وفكره وثقافته.

إن القول بأن العقيدة لا تؤخذ إلا بالدليل القطعي ولا يجوز أن تؤخذ بالدليل الظني هو قول يثبت العقيدة وينقيها من كل شائبة ويجعلها في مأمن من أن يتسرَّب إليها الفساد والتناقض والعبث، وليس قولًا يشكِّك في العقيدة أو يحطُّ من قيمتها بل هو يرفعها.

فواقع العقيدة من حيث فهمها ووضوحها وأنها لا تكون إلا في العقليات المحضة أو المغيبات يقضي بأن تكون قطعية لا ظنية، لأنها أصل، والأصول لا يجوز أن يدخلها الاحتمال؛ لأن هذا يعني احتمال عدم نفي النقيض. كما أن المطلوب فيها هو التصديق الجازم فقط، أي لا يطلب فيها العمل، وإن كانت في حقيقتها أصلًا للأعمال وأسًّا لأي مفهوم عن واقع الحياة. وإن دخول الاجتهاد فيها يفسدها وتتعدد الآراء وتكثر المذاهب والفرق العقدية، فيؤدي ذلك إلى الاشتطاط والخطأ الناجم عن الاجتهاد القائم على غلبة الظن خاصة في العقيدة.

٥-تعريف دار الإسلام ودار الكفر:

حاول البعض سلخ مفهوم دار الإسلام ودار الكفر عن أحكام الشريعة، ولم يكن الأمر عن حسن نية أبدًا، كما لم يكن أيضًا عن جهل بتلك الأحكام، بل كان خبثًا وانصياعًا لما يريده الغرب الكافر من تفريغ الإسلام من مضمونه، وتجريده من كل الأحكام السياسية التي هي أسُّه وأساسه، فقالوا إن هذا مفهوم تاريخي قديم لا يناسب العصر الذي تقوم العلاقات فيه بين الدول على الاحترام المتبادل وحسن الجوار، وإن هناك قوانين دولية يجب أن تُحترم، وإن الدول اليوم تقوم على أساس المواطنة وليس على أساس الكفر والإيمان.

لم يأتِ حزب التحرير بجديد عندما عرَّف دار الإسلام بأنها هي الدار التي تطبق فيها أحكام الإسلام على جميع شؤون الحياة والحكم، ويكون أمانها بأمان الإسلام ولو كان أكثر أهلها من غير المسلمين. ودار الكفر بأنها هي الدار التي تطبَّق فيها أحكام الكفر على جميع شؤون الحياة، ويكون أمانها بأمان الكفر، ولو كان جميع أهلها من المسلمين. ولم يكن تأكيد الحزب بأن العبرة في الدار من كونها دار إسلام أو دار كفر، هي بالأحكام التي تطبَّق عليها، وبالأمان الذي تكون آمنة به، وليست العبرة بدين أهلها، لم يكن أيضًا تأكيدًا جديدًا، بل هو ما كان عليه كل علماء الأمة ولم يشذَّ منهم أحد، إلا أن الحزب نفض الغبار عن هذا المفهوم الذي تسبَّب به بعد الشقة بين الناس وبين الدولة الإسلامية، وساهم فيه بعض مشايخ السلطان الذين أصبحوا ألعوبة ومعاول هدم في يد أعداء الأمة.

وتحرير هذا المفهوم كان من الأهمية بمكان؛ لأنه ينبني عليه تحديد كيفية العمل إزاء الواقع، فإن كان الواقع أن الدار دار إسلام، كان الواجب هو السمع والطاعة والإصلاح إن ظهر أي انحراف. وإن كان الواقع أن الدار دار كفر، فالواجب هو العمل على التغيير وتحويل الدار إلى دار إسلام بالطريقة الشرعية المستنبطة من طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة (٤)

الساريسي المقدسي- بيت المقدس

فساد نظام الحكم الديمقراطي:

كما رأينا من الشرح السابق، فقد نُحيِّت نظرية الحق الإلهي في أوروبا جانبًا وقام مقامها نظرية الحق الطبيعي، وانبثق عن هذه النظرية ما يسمَّى بالعقد الاجتماعي الذي أسس لمفهوم الدولة الرأسمالية العلمانية، وقد لاقت فكرة الديمقراطية في ذلك العصر اهتمامًا بالغًا لدى فلاسفة ومفكري أوروبا لمواجهة نظرية الحق الإلهي الدينية حين تعرف الأوروبيون على فكرة الديمقراطية ونظرية القانون الطبيعي من فلسفة الإغريق، التي نقلوها من علوم المسلمين في الأندلس؛ حيث ورد في الفلسفة الإغريقية أن دولة أثينا حاولت تطبيق نظام حكم ديمقراطي؛ ولكنها فشلت في تطبيقه فتخلت عنه.

يقول حزب التحرير: إن الديمقراطية هي حكم الشعب للشعب، والتي تقوم على فكرتين هما السيادة والسلطة للشعب. فالشعب هو مصدر السلطات وهو الذي يملك إرادته، ولا سلطان لأحد عليه، وهو الذي يشرِّع التشريعات التي يريد أن يحكم بها، وحتى يكون الشعب سيِّد نفسه ويُسيِّر إرادته كاملة كانت الحريات العامة هي الأساس لتحقيق ذلك، وهي حرية الاعتقاد وحرية الرأي وحرية التملك والحرية الشخصية[١]..

وكذلك فإنه بحسب نظرية العقد الاجتماعي المنبثقة عن الحق الطبيعي، فإن الديمقراطية تجعل حق التشريع أي السيادة للشعب، فالشعب هو الذي يختار نظامه وقوانينه دون إكراه ولا تدخُّل من أية سلطة دينية، فيجب عندهم فصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية، أي فصل الدين عن الحياة وعن الدنيا، وعلى أن يقوم الشعب بالتشريع بإرادته الحرة.

وعند التدقيق في وظيفة الدولة والقوانين في الديمقراطية، نجد أن هذه الوظيفة هي ضمان الحريات الفردية الأربع، فالرأسماليون - حسب طريقة التفكير الداروينية - يحاولون محاكاة الطبيعة في أنظمتها وقوانينها، فيحاولون استخراج قوانين الطبيعة، ويعكسون ذلك على القوانين التي يشرعونها في كل نظام اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي. وبما أن الذي يحكم القطيع في الطبيعة هو الأقوى، وهو يكون صاحب الحق الأول في الانتفاع بالثروة والغنيمة، وهو الذي يقرِّر من يكون من جملة قطيعه أو يقرِّر طرده، وهو الذي يقرِّر حقوق

١ الديمقراطية نظام كفر، الشيخ عبد القديم زلوم ١٩٩٠.

القطيع. فهذا الأمر يطبِّقه الرأسماليون في الحكم والسياسة، فيرَون بأن حق التشريع والحكم هو للأقوى، والأقوى عندهم هو من يملك رأس المال والثروات الاقتصادية، وبالتالي فالمال يعطي الشرعية للغني ليكون زعيم القطيع، وأن ينتفع بالموارد والثروات قبل غيره، وأن يقرِّر عن القطيع ما لهم من الحقوق وما يلزمهم من تشريعات.

إن فساد الديمقراطية يتَّضح من حيث كونها فكرة غير واقعية ولا تصلح للتطبيق، حسب ما عرَّفوها بأنها حكم الشعب للشعب، فالشعب بمجموعه يستحيل أن يجتمع ليشرِّع، ويستحيل أن يجتمع ليحكم نفسه، وقد حاولت دولة أثينا فعل ذلك وثبت لها فساد هذه الفكرة وعدم واقعيتها، فتخلَّت عنها بعد شهر أو أشهر قلائل من محاولة تطبيقها في مدينة أثينا، وهي مدينة واحدة فكيف بدولة فيها الآلاف من المدن والملايين من البشر؟!

وبما أن الديمقراطية بمعناها الحقيقي هي فكرة خيالية غير قابلة للتطبيق، فقد تلاعب الأوروبيون بها واحتالوا عليها فأوَّلوا الإرادة الشعبية وأوجدوا لها ما يسمى بالسلطات الثلاث وهي الحكومة والقضاء والمجلس النيابي، وهذا الأخير هو البرلمان، وهو مجلس تشريعي ينتخبه الشعب، وبهذا الاحتيال تخلَّى الشعب عن حق التشريع للبرلمان وصار دوره فقط انتخاب نواب أو ممثلين لهذا الشعب، والبرلمان نفسه لا يقوم بالتشريع، وأعضاء البرلمان أنفسهم غير قادرين على التشريع، بل يقوم بذلك هيئة تشريعية أو لجنة قانونية منبثقة عن هذا البرلمان هي التي تضع القوانين، وهذه اللجنة ذاتها يتنازع فيها أكثر من حزب أو فئة تحاول فرض القوانين والتشريعات لمصلحتها، ثم تعرضها على البرلمان للتصويت عليها. وبالتالي فالتشريع يقوم به أقلية الأقلية، ومع ذلك ما زالت الديمقراطية تعرف بأنها حكم الشعب أو حكم الأغلبية زورًا وبهتانًا وفسادًا!! وما هي إلا حكم الأقلية للأكثرية. فأين هو حكم الشعب؟!

ويظهر فساد الديمقراطية من جعل السلطة التشريعية أو البرلمان عندهم دائميًا، وهذا إقرار بأن التشريعات تتغير بشكل دائم حسب الظروف وحسب رغبات أعضاء البرلمان، وهذا بحد ذاته عيب خطير في الديمقراطية ينمُّ عن فساد متأصل من حيث إنهم يعترفون بدوام تغيُّر التشريعات والقوانين التي تعالج المشكلات، ولو أنهم اعتبروا التشريعات صالحة لعلاج المشكلات لأقرُّوا بأنها يجب أن تكون دائمية وثابتة، ولما لزمهم وجود برلمان للتشريع، بل يقوم بتشكيل لجنة لسن دستور وقوانين لمرة واحدة ثم ينتهي عملها، ويعود البرلمان لعمله الأصلي وهو الشورى والمحاسبة لا التشريع، ومن شواهد ذلك أن الدستور الأمريكي مثلًا لا يجوز تغييره بتاتًا إلا في حالات استثنائية خاصة جدًا، وهذا يدلُّ على أن مسألة تغيُّر التشريع فيها إقرار

بالفساد.

وأيضًا يظهر فساد الديمقراطية من زاوية تحكُّم الرأسماليين في شعوبهم في التشريع والحكم، فعلى الصعيد الداخلي يحصل تغوُّل من الرأسماليين على الديمقراطية؛ حيث إنه وبسبب الاختلال في توزيع الثروة التي تكون متداولة فقط بين أيدي الأغنياء، فتتركَّز هذه الثروة بيد أصحاب الاحتكارات الرأسمالية، ويصبحون هم من يمتلك القوة في المجتمع والدولة بحكم رأس المال، فيملكون بأموالهم الحكَّام والإعلام والبرلمان ويصبحون هم الحكَّام الحقيقيين للدولة.

ويصبح رؤساء الدول وأعضاء البرلمانات ممثلين لإرادة «النخبة» من الرأسماليين من رجال الأعمال وكبار الملَّاك ولا يمثلون إرادة الشعب الذي انتخبهم، فكبار الرأسماليين هم من يدفعون نفقات الانتخابات والدعاية لرئاسة الدولة ولعضوية البرلمانات، فيصبحون بعد انتخابهم ليسوا ممثلين لمن انتخبوهم، بل ممثلين للنخبة، ويشرِّعون من القوانين ما فيه مصلحة «النخبة»، وهذا مقتل في الرأسمالية، وهو واقع معروف في أمريكا وغيرها، فالرأسماليون هم الحكَّام الحقيقيون في الدول الرأسمالية.

إذًا هناك علاقة رأسمالية عضوية بين الخلل والفساد الاقتصادي مع الخلل والفساد السياسي؛ حيث إن وجود الخلل الاقتصادي في توزيع الثروة في المجتمع الرأسمالي، ينتج عنه انقسام الشعب إلى رأسماليين وإلى أناس فقراء أو متوسطي حال، ويصبح الرأسماليون نخبة جشعة تستأثر بالامتيازات، وترغب في الاستمرار في استغلال باقي الناس، ثم التوسع أكثر إلى استغلال باقي شعوب العالم. وهذا الأمر مشابه إلى حد كبير لمقولة داروين بأن البقاء هو للأصلح، وأن هذا هو قانون الطبيعة الذي يجب على المجتمع احترامه، فالقويُّ له الحقُّ في البقاء والانتفاع بالثروة وفي الاستمرار في الوجود، فيما لا يستحق الحياة من خلق ضعيفًا أو عاجزًا أو طرأ عليه ذلك الأمر لاحقًا.

إذًا يتضح أن القانون الحاكم للديمقراطيين الرأسماليين هو قانون الغاب الداروينيِ، ولكنهم لا يقولون ذلك صراحة، بل يسهرون على تطبيقه عمليًا في أنظمتهم، ويغلِّفون ذلك بكلام ظاهره جميل يسمُّونه بالديمقراطية، ولكنها لعبة يلعبها كبار الرأسماليين للتغوُّل والسيطرة على القطيع (عامة الناس) وتوجيهه كما يشاؤون، باستخدام القوة (العسكرية والمالية) والسلطة (التنفيذية والتشريعية) والنفوذ والإعلام. فيستخدمون من الأساليب والوسائل ما يمكِّنهم من الوصول إلى غاياتهم، مهما كانت هذه الوسائل غير أخلاقية أو غير إنسانية، ومثلهم الأعلى في ذلك كتاب الأمير لميكيافيللي الذي علَّمهم بأن الغاية تبرر الوسيلة.

ويظهر فساد الحكم الديمقراطي بشكل جليٍّ عند النظر في نتائج هذا الأمر في التطبيق

العملي، وذلك في الدول التي يتنازعها أكثر من حزبين كبيرين. فدولة مثل إيطاليا -وتشبهها دولة يهود- وبسبب تشتُّت الطبقة السياسية ووجود أحزاب كثيرة في البرلمان، لا يستطيع أكبر الأحزاب تشكيل حكومة إلا من خلال لملمة مجموعة من الأحزاب الصغيرة معه لتشكيل ائتلاف حكومي هش، وتكون النتيجة تشكيل حكومات فاشلة سرعان ما تسقط، وتنخرها جماعات الجريمة المنظمة المسمَّاة بالمافيا، فيضطرُّون إلى تكرار الانتخابات التشريعية البرلمانية عدة مرات في فترات زمانية قصيرة بسبب هذا التشتُّت البرلماني؛ ولذلك يحارب كِلا الحزبين في أمريكا نشوء أحزاب أخرى تنافسهما في الانتخابات بلا هوادة، حتى لا يقعوا في ما وقعت فيه إيطاليا، لتبقى «كيكة أو كعكة» الحكم مقسَّمة بينهما، وكذلك الأمر في بريطانيا حيث يهيمن على المشهد السياسي حزب المحافظين ويليه حزب العمال.

ومن أوجه فساد النظام الديمقراطي أن الدول التي تدَّعي الحكم الديمقراطي وتمارس الحريات داخل بلدانها، تقوم بدعم الدكتاتوريات المستبدَّة في جميع أنحاء العالم، وتقمع وتصادر حريات الشعوب وكرامتها، وهي تقوم بذلك من أجل أن تسهِّل استعمار هذه الشعوب والدول لتنهب ثرواتها وتجعلها تابعة لها وسوقًا لمنتجاتها من أجل تحقيق مصالح الرأسماليين المجرمين، فأين الديمقراطية والحرية في التعامل مع الغير؟! وهل هذه المزايا حلال عليها حرام على من سواها من الدول الشعوب؟!

وبهذا يظهر فساد الحكم الديمقراطي في الحضارة الرأسمالية؛ من حيث الأساس الذي بني عليه وهو نظرية الحق الطبيعي، ومن حيث علاقته بالنظرة الداروينية الفاسدة للحياة، ومن حيث فساده في التطبيق العملي ثم تغوُّل الرأسماليين على باقي المجتمع في الحكم والتشريع.

فساد النظام الاجتماعي:

يعالج النظام الاجتماعي العلاقة التي تنشأ بين الرجل والمرأة وما يترتب على هذه العلاقة من قضايا، وتهدف هذه العلاقة إلى تكوين أسرة؛ لتكون هي النواة التي يتمُّ فيها تكاثر البشر، وللمحافظة على بقاء النوع الإنساني. وتساهم الأسرة في بناء الأجيال جسميًا وفكريًا ونفسيًا. ويختلف النظام الاجتماعي من مجتمع لآخر، إذ إن لكل مجتمع من المجتمعات نظرة معينة لكيفية تنظيم هذه العلاقة بين المرأة والرجل تختلف باختلاف الأفكار والمشاعر والأنظمة التي تحكم العلاقات الأسرية أو العلاقات الاجتماعية.

ظل مفهوم الأسرة هو المسيطر على المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة وعبر العصور حتى عصرنا الحديث؛ لأن هذه هي الفطرة الطبيعية بأن يجتمع الرجل والمرأة بزواج لتكوين أسرة، وأن يتعاونا معًا، ويكمل

بعضهم بعضًا في القيام بالأدوار الاجتماعية المطلوبة لبقاء النوع الإنساني، فكان التكامل والتعاون وكذلك تقسيم الأدوار الوظيفية واضحًا بينهما.

ولكن مع ظهور المبدأ الرأسمالي وقيامه على نظرية الحق الطبيعي وعلى الحريات، وبالأخص الحرية الشخصية، دارت نقاشات وخلافات بين فلاسفة ومفكري الرأسمالية حول النظام الاجتماعي ومفهوم الأسرة وعلاقة الرجل بالمرأة. وقد استند هؤلاء المفكرين على مفاهيم جديدة أخذوها من القانون الطبيعي الذي تخضع له الكائنات الحية في الطبيعة. فقد لاحظ هؤلاء أنه لا وجود في الطبيعة لمفهوم للأسرة بين الحيوانات، وبما أن الإنسان يجب أن يتماشى مع القانون الطبيعي، فلا داعي إذًا لوجود الأسرة كحتمية طبيعية. والأصل -عندهم- في التكاثر الحيواني بأن يحصل التقاء جنسي عفوي بين الذكر والأنثى بغير تنظيم وينتج عن ذلك طبيعيًا تكاثر للأنواع الحية، فلا يوجد في الطبيعة -حسب النظرية الداروينية- أي تخطيط أو تنظيم للنمو السكاني ولا للعلاقات الجنسية، بل هناك علاقات عفوية عشوائية فقط تنشأ بحكم الميول الطبيعية بين الذكور والإناث.

وقد نتج عن هذه النظرة الداروينية الرأسمالية للأسرة، أي للاجتماع بين الرجل والمرأة عن طريق العلاقة الزوجية، نظرة سلبية تجاه الزواج والأسرة وبقاء النوع؛ لأن هذه العلاقة -في نظرهم- تؤدي إلى سيطرة الرجل على المرأة ونزع حريتها الشخصية تحت عباءة مؤسسة الأسرة؛ ولذلك اعتبرت الأسرة استعبادًا للمرأة، وقمعًا لحريتها الشخصية. وكذلك نتج عن هذه النظرة الداروينية الاعتراف بشرعية وحقوق الشوَّاذ والمثليين -بعد أن كانت جرائم يعاقب عليها وينبذ من يقوم بها- ما دامت هذه الميول الجنسية قد ثبت «علميًا» -بحسب ظنونهم- أنها ميول طبيعية عند هؤلاء الأفراد.

ولذلك تجد بعض أتباع الرأسمالية من مناصري حقوق المرأة والجندر والنسوية «الداروينية»، من يحارب فكرة الأسرة بوصفها استعبادًا للمرأة وقمعًا لحريتها وهضمًا لحقوقها، لا سيما وأنهم يدعون إلى المساواة التامة بينها وبين الرجل، وأن العلاقة الجنسية بينهما تقوم على الحرية من غير أية قيود اجتماعية أو ثقافية أو دينية، أي إنهم يدعون إلى أن تقوم العلاقة بين المرأة والرجل على اتخاذ الأخدان أي المصاحبة، كما يحصل في الطبيعة دون إكراه من العائلة والأسرة الكبيرة، وإذا نشأ أولاد فتربيهم الأم كما في الطبيعة، وهذه النظرة في الحقيقة -كما ترون- هي نظرة داروينية حيوانية إلى الإنسان وللعلاقة بين الذكر والأنثى.

وكذلك نتج عن هذه النظرة الداروينية للأسرة وللعلاقات الاجتماعية، مع مفهوم المنفعة المادية باعتبارها القيمة الوحيدة

المعترف بها عندهم، إلى هدم مؤسسة الأسرة والعزوف عن الزواج وعدم إنجاب الأطفال لأنهم مشاريع اقتصادية فاشلة، فلا قيمة إنسانية تدفعهم لإنجاب الأطفال. وتخلَّى كل من الرجل والمرأة عن أدوارهما الطبيعية الفطرية، فتهدَّمت العلاقات الاجتماعية والأسرية في الغرب، ونتج عنها كل أصناف الانحلال الخلقي والعلاقات الجنسية المفتوحة وعدم الارتباط برباط الزوجية بل بالمصاحبة، فأصبحت المرأة تعاني أشد المعاناة من هذه النظرة؛ حيث تولت القيام بدورها كامرأة وكذلك القيام بجزء من دور الرجل، فقامت هي بالعمل لكسب الرزق وكذلك تربية الأولاد، فظهرت في الغرب ظاهرة النساء العازبات والتي ترعى فيها المرأة وحدها الأبناء، وزادت نسبة الأطفال اللقطاء، وانتشرت الأمراض الجنسية كالسفلس والإيدز وغيرها من الأمراض.

ولنأخذ قضية المرأة باعتبارها أولى القضايا التي تبرزها الحضارة الغربية، فنرى أنها تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة كفكرة أساسية وحق إنساني، ولكن هذه النظرة تنطوي على مغالطة كبيرة، فعند النظر في مفهوم المساواة نجده سلاحًا ذا حدَّين، فهو من جهة صحيح إذا نظرنا إلى الذكر والأنثى بوصف كل منهما إنسانًا، ولكن من جهة أخرى ترتكب هذه الحضارة غلطة قاتلة حين تطالب بمساواة المرأة بالرجل في النفقة وفي تحمل المسؤوليات الخاصة بالرجل وفي القيام بدوره في المجتمع؛ ولهذا تجد المرأة في البلاد التي تطبق هذه الفكرة الخبيثة تعمل في كافة مجالات الحياة الصعبة كالبناء والسيارات والمطاعم فضلًا عن الإتجار بأجسامهن في مجالات عدة، وكأداة للدعاية وترويج السلع والخدمات أو أداة للمتعة والتسلية، فهذه الفكرة الخبيثة كانت ظالمة للمرأة وجلبت لها الشقاء والتعاسة، وهي بعيدة كل البعد عن صيانة كرامتها، وهذا مشاهد محسوس وتدركه النساء في الغرب تمام الإدراك، وهذه النظرة هي أيضًا نظرة تخالف الفطرة، وهي غير عادلة لأنها نظرة غير تكاملية ولا تعاونية، بل نظرة تؤدي إلى عداوات ومنافسة في الأدوار الوظيفية بدل نظرة التراحم والتكامل، فهذه نظرة فاسدة تؤدي إلى الصراع لا التعاون، والنظرة الصحيحة هي نظرة العدل بدل نظرة المساواة، فالمساواة تؤدي إلى ظلم الرجل والمرأة، وأما العدالة فتراعي الخصوصية الفطرية لهما، وتحدِّد دور كل منهما دون ظلم ولا تحميل ما هو فوق الطاقة.

هذه هي نتائج مفاهيم هذه الحضارة الرأسمالية القائمة على النظرة الداروينية الفاسدة للحياة وللأسرة وللمجتمع، ومن بنى حضارته ونظامه على الحق الطبيعي ونظرية داروين، فإنه من الطبيعي أن يواجه هذه النتائج الكارثية، هذا فضلًا عن الفشل الاجتماعي وتفشِّي الأمراض، إن لم يكن حالًا فمستقبلًا، فليتدبَّر هؤلاء ما صنعت بهم

حضارتهم ونظرتهم الداروينية!!

فساد النظرة للمجتمع

يبرز فساد الحضارة الرأسمالية في نظرتها المجتمعية إلى اعتبار أن المجتمع مجموعة أفراد فقط، ولا ينظرون إلى العلاقات بينهم، وهذا الأمر مقصود وليس عفويًا؛ لأن النظرة الرأسمالية تقوم على فكرة حريات الأفراد وبالأخص الحرية الشخصية، وأن الدولة تتدخل لضمان حريات الأفراد فقط.

ويظهر فساد النظرة الرأسمالية للمجتمع من حيث عمل الحكومات على تقسيم المجتمع إلى فئات وجماعات عرقية ودينية واقتصادية، مما يؤدي إلى تفتيت الناس وتقسيم المجتمع إلى ثنائيات متضادَّة، مثل ثنائية رجل وامرأة، وصحيح ومعاق، ومسيحي ويهودي ومسلم وهندوسي، ثم إعطاء كل فئة أو جماعة تميزًا وحقوقًا خاصة، والاحتفال بيوم خاص بكل جماعة، والإغراق في التمييز بينها، وهذا يولِّد نزاعات وخلافات بين هذه الثنائيات، فتقوم الدولة بالإمساك بكل هذه الفئات وتسيطر عليها بسهولة، بدعوى الدفاع عن حقوق كل فئة منها وعن حرياتها، ويجعل صاحب الحاجة منهم رهينة للنظام والدولة.

ومن تطبيقات هذه النظرة في تفتيت المجتمعات في الدول التابعة أن تقوم الحكومات بإجراء التعداد السكاني، والذي يفترض أن يتيح لهذه الحكومات فرصة للتخطيط الفعَّال لتقديم الخدمات؛ ولكن هذه هي مجرد مغالطة في ظل الرأسمالية التي تتبنَّى النظرية المالثوسية الجديدة. فهذه الحكومات تقوم بعمل التعداد السكاني بناء على نظرية «الانفجار السكاني» التي نشرها القس توماس مالثوس حول مبدأ السكان، والذي ذكر فيه أن تكاثر السكان أكبر من الثروة الموجودة في الأرض لإنتاج الكفاف (القوت) للإنسان. وقد حفَّزت هذه النظرية المتحيِّزة سياسات التحكُّم السكَّاني التي تروِّج لها مجموعة من المنظمات الرأسمالية مثل مؤسسة فورد، ومؤسسة روكفلر، ومجلس تعداد السكان. ومن الجدير ملاحظته أن هذا التعداد أوجد صراعات بين الفئات السكانية التي تعيش في دولة واحدة؛ حيث تحاول كل فئة فيها الضغط على الحكومة لتحصيل حقوق خاصة بها والمشاركة في حصة من وزارات الحكومة والبرلمان، وبالتالي أصبح التعداد السكاني سلاحًا لتحصيل الحقوق الفئوية والصراع على «كيكة أو كعكة» الحكم مع الفئات الأخرى في الدولة.

وكذلك نتج عن نظرية الحق الطبيعي والداروينية الاجتماعية الأفكار القومية المتطرفة والعنصرية، فغدت العنصرية إفرازًا وإنتاجًا عاديًّا وطبيعيًّا للحضارة الرأسمالية الداروينية، كما حصل في ألمانيا على يد هتلر، حين اعتبر العنصر الآري هو أرقى الأجناس البشرية وأكثرها تطورًا؛ ولذلك فهو الأحق بالبقاء والعيش الكريم، وأنه يجب القضاء على

كل الأجناس الأقلِّ تطورًا كالسود والساميين والغجر إلخ. وأوجدت هذه النزعة القومية صراعات عنيفة بين الدول الأوروبية -ثم لاحقًا في أفريقيا- لتقسيم الدول حسب الأعراق واللغات والأجناس، مما نتج عنه إزهاق أرواح الملايين من البشر.

وقد أصبح هناك خطر اجتماعي كبير يتهدَّد المجتمعات التي تحمل هذه النظرة الداروينية الرأسمالية في الغرب وفي الشرق؛ حيث أصبحت هذه المجتمعات تعاني من نقص كبير في نسبة التكاثر السكاني، ومن شيخوخة مجتمعية متصاعدة، ونقص في أعداد المواليد الجدد، ونقص في الأيدي العاملة اللازمة لتشغيل الشركات والمصانع والاقتصاد، وكذلك نقص في الأموال اللازمة لتغطية نفقات التقاعد والشيخوخة الواجبة على الدولة، مما أدَّى ببعض الدول أن تدقَّ ناقوس الخطر، وأن تتخذ إجراءات اجتماعية واقتصادية لتشجيع الرجال والنساء على الإنجاب والزواج بالحوافز المادية، ولكن هيهات أن تنفع بعض الإجراءات الاقتصادية مع وجود مجموعة كبيرة من العوائق الفكرية والنفسية والمادية أمام الزواج وتكوين الأسرة، وفي ذات الوقت وجود تسهيلات كثيرة أمام إقامة العلاقات غير الشرعية وهدم الأسرة والخنا والزنا ثم الشذوذ، إلخ.

فألمانيا مثلًا سمحت بهجرة لاجئين من سوريا وغيرها، لتغطية العجز الذي تعاني منه في الأيدي العاملة من فئة الشباب. وأعلنت إيطاليا مؤخرًا أن عدد الوفيات فيها أكثر من المواليد الجدد، وأخذت تدقُّ ناقوس الخطر، وقال سياسيوها بأنهم يواجهون تهديدًا وجوديًا لانخفاض معدل الإنجاب. وهذا الحال ينطبق على دول رأسمالية كثيرة في أوروبا واليابان وروسيا وغيرها، والتي أصبحت تعاني من تدني نسب التكاثر السكاني فيها حتى وصلت لنسب سلبية، أي لا يوجد عندهم تكاثر بل هو تناقص مضطرد، وإذا استمر هذا الحال لفترة زمنية طويلة، فإن هذه المجتمعات ستواجه بعد عقود خطر الفناء.

وعليه ففساد النظرة الاجتماعية في الحضارة الرأسمالية يكاد يكون فسادًا ظاهرًا لا يمكن إخفاؤه ، وما يغطي هذا الفساد هو الإبراز المتعمد في الإعلام للتقدم التكنولوجي والصناعي في الدول التي تحمل الحضارة الرأسمالية.

خاتمة:

إن الـتأصيل والتفصيل الذي قمنا به في موضوع الحضارة الرأسمالية ونظرتها الداروينية الفاسدة، والذي أدركنا من خلاله شيئًا من تاريخ نشوء الحضارة الرأسمالية، ثم شاهدنا جوانب وأسرار فساد هذه الحضارة، يؤكِّد دون شك أن هذه الحضارة مُشقية للإنسانية وسبب في تعاستها، وبالتالي فالواجب على الغرب التخلِّي عن هذه الحضارة واستبدالها بحضارة صالحة تحقِّق السعادة والهناء وتسمو بالإنسان

من وحل التراب فتصله بخالق السموات، وتعترف بجميع القيم وتوازن بينها، وهذه هي حضارة الإسلام وهي الأجدر بجميع الخلق من مسلمين وغير مسلمين، بوصفها طريقة العيش الصالحة.

وهناك أمر هام بالنسبة لنا من هذا التأصيل يفيد في فهم منطق عمل الرأسمالية، فهذا الفهم يُمكِّننا من إدراك المنهجية والآلية التي تعمل به الحضارة الرأسمالية وتطبيقها على باقي الأنظمة المجتمعية، كالصحة والبيئة والتعليم والتشريع وغيرها، ونستطيع من خلالها أن نستخرج أسرار الفساد في كل نظام منها. فإدراك آلية ومنهجية التفكير الرأسمالية العلمانية القائمة على الحق الطبيعي والتطوُّر والنظرة الداروينية للحياة، أمر هام جدًا جدًا، لأن فهم المنطق الداخلي لعمل هذا النظام يعين في تفسير سلوك هذا النظام وتحديد الأسباب الدافعة وراء هذا السلوك الفاسد، ويمكِّننا أيضًا من التنبُّؤ بسلوك هذا النظام وتوقُّع المشاكل والأزمات التي يمكن أن تمرَّ به مستقبلًا، ثم ندرك كيف يقومون بإدارة الأزمات التي تمرُّ بها الرأسمالية من خلال الترقيعات تحت دعوى التطور والحداثة والمرونة، وقيامهم بترحيل أزماتهم إلى المستقبل أو قيامهم بتصدير هذه الأزمات والمشاكل إلى المستضعفين والفقراء في العالم ليحملوا وزر خطايا هذه الحضارة.

لقد أفسدت الحضارة الرأسمالية أجيالًا كثيرة من الذين اعتنقوا عقيدتها، وانحازت للباطل والفساد وللأقوياء وللأغنياء وسحقت باقي البشر، فأفسدت حياة جمهرة الناس في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بسبب نظرتها القائمة على الداروينية الفاسدة للحياة، فاتخذت من شريعة الغاب المسمَّاة بالحق الطبيعي قانونًا، بدل شريعة وقانون السماء (العدل الإلهي)، فهوت بالإنسانية إلى الأرض بدل أن ترتفع بها إلى السماء.

وقد رأينا فشل دول الرأسمالية في إدارة أزمة الكورونا، بسبب تبنِّي بعضهم لسياسة مناعة القطيع المنبثقة من النظرة الداروينية الفاسدة للحياة فاضطروا إلى التخلي عنها سريعًا، فهذه النظرة الداروينية تفشل دائمًا في حل مشكلات الحياة؛ ولكن لا يظهر ذلك واضحًا للناس، ويغطون على فشلهم بإظهار التقدُّم المادي في العلوم والصناعات.

ختامًا، فقد رأينا أن الرأسمالية حضارة فاسدة في أساسها وفي أنظمتها التي انبثقت عنها، فهي بدلًا من أن ترتقي بالإنسان وتنهض به، وجدناها قد أخرجت عما أُعدَّت له كحضارة ففسدت وأفسدت. ولأن الرأسمالية حضارة فاسدة ووصلت بالإنسان إلى الهاوية في القيم والأخلاق والنواحي الإنسانية والروحية، فأدَّت إلى شقائه، وأضحت خطيرة على استقرار العالم بفسادها، فكان استبدالها بالحضارة الصالحة واجبًا ملزمًا لكل ذي لب وفطرة سليمة. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

عدالة الصحابة ﷺ في نقل الإسلام

حمد طبيب - بيت المقدس

قبل الحديث عن عدالة الصحابة، وارتفاعهم عن الجرح والتشكيك، نقول: لم تحظَ حضارة ولا فكر على وجه الأرض - من عهد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا - في طريقة النقل والحفظ والإحاطة والعلم؛ كما حظي الإسلام. فلو نظرنا إلى الديانتين اللتين سبقتا الإسلام (اليهودية والنصرانية) مثلًا، لرأينا التحريف والتخريف، والدس والخلط، وعدم الانسجام والتناقض ما بين النصوص المختلفة، عدا عن الخروج عن الأسس الصحيحة للأصول المعتبرة شرعًا وعقلًا؛ في وحدانية الله وصفاته، وسنن الخلق، وصفات الرسل المعتبرة، وغير ذلك الكثير... **والسبب الأول** في هذا الخلط والتحريف؛ هو عدم حفظ المولى عز وجل - ابتداء - لهذه الديانات كما حفظ الإسلام. **والسبب الثاني:** هو خلو طريقة التدوين والنقل من السند واتصاله مع أصل الرواية. **والسبب الثالث:** هو التدوين المتأخِّر للنصوص في عهد تلاميذ التلاميذ (للمسيح عليه السلام)؛ أي بعد أربعة أجيال تقريبًا. **والسبب الرابع:** هو النسبة إلى التلاميذ والأخذ عنهم مباشرة في الرواية وليس من المصدر الأصلي، أو الأخذ عنهم مباشرةً عند التدوين.

أما الإسلام فقد نقل إلينا بطريقة منضبطة، متصلة السند، ونقلت النصوص من أصلها الذي صدرت منه وهو الوحي، ولم تصدر هذه النصوص من رجال معينين. ونقل كذلك الإسلام (بشكل مجمل) بطريقة قطعية لا لبس فيها ولا شك، وبطريقة دقيقة خالية من الدسِّ والكذب بشكل تفصيلي. فقد دُوِّن القرآن الكريم في حضرة الرسول ﷺ، وتحت إشرافه مباشرة، وبشهادة الشهود العدول؛ أي بشهادة صحابة الرسول ﷺ. وفوق النقل والضبط والكتابة؛ فإن هؤلاء الصحابة حفظوه، وتناقلته الأجيال محفوظًا جيلًا بعد جيل بالمئات من الحفَّاظ، بل بآلاف وعشرات الآلاف في العصور المختلفة. فاجتمع في حفظ القرآن ثلاثة أمور؛ تجعل من عملية الدس فيه أمرًا مستحيلًا، وتجعل هذا النقل قطعيًا بشكل لا يقبل أي شك. **الأمر الأول:** هو التدوين في حضرة الرسول ﷺ، وإشهاد الصحابة على ذلك. **والأمر الثاني:** هو الحفظ في الصدور، جيلًا بعد جيل دون انقطاع في أي عصر من العصور. **والأمر الثالث:** هو إعجاز القرآن الكريم في نصوصه المنقولة.

هذا بالنسبة إلى القرآن الكريم، أما السنة النبوية؛ فإنها أيضًا قد نُقلت بطريق قطعيٍّ جملة، وبطريق منضبط دقيق تفصيلًا؛ بحيث إنها قد وصلت إلينا منضبطة كاملة، غير منقوصة. وهناك أمور قد جعلت من الحديث غايةً في الدقة والضبط وسلامة النقل، من هذه الأمور:

أولًا: عدالة الصحابة: فالصحابي، كما ذكر أكثر علماء الحديث، هو من لقي الرسول ﷺ وآمن به وتحقَّقت في لقياه معنى الصحبة، وليس مجرَّد اللقاء فقط. يقول الإمام المازري في كتاب (شرح البرهان في أصول الفقه): «لسنا نعني بقولنا: الصحابة عدول كل من رأى رسول الله

ﷺ يومًا ما، أو زاره لمامًا، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب؛ وإنما نعني به الذين لازموه وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»... أما عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، فالمقصود بها: «إنهم عدولٌ ثقات لا يُجرَّح أحد منهم، ولا يُتَّهم في عدالته إطلاقًا...». والعدالة لا تعني إطلاقًا عدم الخطأ أو الوقوع في معصية، إنما العدالة كما يعرفها علماء الحديث: «إنهم لا يتعمَّدون الكذب على رسول الله ﷺ، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسموٍّ الأخلاق والترفُّع عن سفاسف الأمور... وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي، أو من السهو أو الغلط». قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة): «ليس المقصود بعدالة الصحابة أنهم معصومون من الذنوب، فهذا لم يقل به أحد من العلماء، فقد تقع من بعضهم الهفوات والزلَّات، الصغائر أو الكبائر؛ ولكن المقصود بعدالتهم هو تمام الثقة بأقوالهم وأخبارهم، فلا يتعمَّدون الكذب في شهادتهم، ولا في أخبارهم، ولا يتعمَّدون الكذب على الرسول ﷺ...». وقال ابن عبد البر رحمه الله في كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب): «الصحابة خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل وثناء رسول الله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منها...».

وقد شهد القرآن الكريم بعدالة الصحابة رضوان الله عليهم، وشهد بذلك الرسول ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾، وقال ﷺ: **«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»** رواه البخاري.

فلا يبحث عن عدالة الصحابة - من خلال البحث والتحرِّي في علم الجرح والتعديل - كما يبحث عن التابعي أو تابعي التابعي. فإذا وصل الحديث إلى الصحابي؛ فإنه ثقةٌ عدلٌ ضبط، صدوق في النقل عن الرسول ﷺ. وإذا سقط الصحابي من سلسلة الرواية أي أرسل الحديث من جهة الصحابي؛ فإنه حديث صحيح إذا اتصف بباقي الصفات التي ترفعه إلى مرتبة الصحيح، ولا يخرم في صحته إرساله من الصحابي؛ والسبب هو أن الصحابة ثقات عدول جميعًا. بينما الحديث المرسل من جهة التابعي، أو تابعي التابعي هو من أنواع الضعيف؛ لأن التابعي لا يعدّل إلا إذا علم من هو، ولا يكفي فيه كونه تابعيًا كالصحابي.

ثانيًا: اتصال السند إلى الرواة من عصر تابعي التابعين؛ لأن تابعي التابعين هم من دوَّنوا الحديث. فسلسلة الحديث تبدأ من تابعي التابعين، وتنتهي بالرسول ﷺ؛ أي تنتهي بالوحي. فلا يقبل حديث دون سند؛ لأن السند إن كان مجهولًا فهذا يعني أن الرواة مجهولو الحال، وقد

يكونون مجروحين في عدالتهم أو ضبطهم أو لقياهم لباقي رواة السلسلة.

ثالثًا: عدالة الرواة وضبطهم من غير الصحابة: فلا يؤخذ حديث إلا من العدل الضبط عن مثله إلى منتهاه؛ أي إلى صحابة رسول الله وإلى الرسول ﷺ. وقد جعل العلماء من أجل هذه الغاية علم الجرح والتعديل وعلم الرجال. فجميع الرجال الذين روَوا الحديث قد نقلت أحوالهم ودرست وعرفت معرفة محيطة من جميع جوانبها التي تلزم في عملية النقل والرواية؛ وهي: وصف العدالة والضبط واللقيا مع سلسلة الرواة الآخرين... فيعرّف الراوي من حيث العصر الذي عاش فيه، ويعرّف من حيث حفظه ودقة نقله وعدم اختلاط الأمور عليه... ويعرّف من حيث صدقُه وعدالته، أي من حيث الورع والتقوى... فلا يؤخذ الحديث من الواهم أو الذي ينسى، أو من ضعيف التقوى الذي تنخرم عدالته.

رابعًا: عدم مخالفة الحديث المنقول لما صحَّ عن الثقات العدول من روايات أخرى، وعدم مخالفته قبل هذا وذاك لنصوص القرآن الكريم. فالأصل في الدين: أن لا يحدث فيه تناقض، ولا تعدد آراء في الأمر الواحد. وإذا حصل ذلك فإن إحدى الروايات تردّ دراية إذا خالفت النص القطعي من القرآن والحديث.

خامسًا: أن لا يتصف الحديث بالركاكة في لغته؛ أي أن يصل إلى مرتبة عالية في الفصاحة والبلاغة، ولا ينحدر إلى مستوى هابط من هذه الناحية؛ لأن الحديث هو في الدرجة الثانية من حيث الفصاحة والبلاغة، والرسول ﷺ يقول: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**» (رواه الإمام مسلم). يقول الإمام السيوطي في كتاب «المزهر»: «أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ حبيب رب العالمين جلَّ وعلا».

وبالتدقيق في هذه الأمور التي ضبطت نقل الإسلام فإننا نقول: إنه من المستحيل الدسُّ أو التحريف لنصوص هذا الدين قرآنًا وسنةً. ونقول كذلك بطمأنينة وثقة: بأن هذا الدين قد حفظ بحفظ الله عز وجل له، وتسخير عباده الصالحين لهذه المهمة السامية؛ سواء في جمع القرآن الكريم وحفظه، أم في حفظ السنة النبوية جملة وتفصيلًا.

أما ما يحصل هذه الأيام من بعض المشكِّكين في نصوص هذا الدين؛ وخاصة في مسألة عدالة الصحابة أو في مسألة صحة الأحاديث وضعفها، فهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام من الناس:

الأول: قسم خبيث يتلقّى ثقافته وسمومه من الغرب، ومن فكره التشكيكي الحاقد على الإسلام وعلى المسلمين، وخاصة في ظلِّ تنامي المد الإسلامي في كل أنحاء العالم، بما فيه العالم الغربي (أوروبا وأمريكا)، وهذا القسم من الناس يتكلم عن وعي وإدراك، ومخططات مرسومة، تنسجم وتتوازى مع المشروع العالمي في الحرب على الإرهاب؛ أي الحرب على الإسلام وأهله.

وقد اشتدّت هذه الحرب بعد أحداث أيلول ٢٠٠١م، وفي ظل انهيار الفكر الغربي، وظهور زيفه حتى عند أتباعه، واتجاه الكثير من الناس في الغرب إلى الفكر الصحيح.

الثاني: من الناس من هم ببغاوات يردّدون ما يقوله الغرب عن قصد وترصد وتخطيط. يرددون ذلك وهم لا يعلمون قدر الخطر الذي يفعلونه، وقدر الخدمة المجانية التي يقدمونها للكفار، في حربهم للإسلام. وهؤلاء لا يدركون أصلًا مسائل علم الحديث، ولا الجرح والتعديل، ولا حتى معنى الصحابي.

الثالث: هم طائفة من (الشيعة) ليس لها أي اعتبار في موضوع العلم الشرعي، ولا الحديث والنقل عن صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم أصلًا لا يعترفون بالغالبية العظمى من الصحابة، بل إنهم يُخرجون قسمًا كبيرًا منهم من ملة الإسلام؛ وخاصة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فكلام هؤلاء ليس حجة.

وفي الختام نقول: إن كل محاولات الغرب وأتباعهم من أبناء المسلمين في إعلان الحرب على دين الله كلها باءت بالفشل قديمًا وحديثًا، وستبوء كل محاولاتهم في المستقبل أيضًا بالفشل؛ وهذه المحاولات ليست جديدة، إنما هي قديمة منذ بزوغ نور الإسلام؛ حيث حاول كفار مكة طمس نور الإسلام؛ وذلك بالتشكيك في القرآن واتّهام الرسول ﷺ بأنه ساحر وكاهن وغير ذلك من أكاذيب. وحاول المستشرقون أيضًا بجهود حثيثة ومتواصلة استمرت أكثر من مئتي عام ولكنها فشلت فشلًا ذريعًا باعتراف قادة الاستشراق في بلاد المسلمين أمثال زويمر حيث قال: «وحاول أيضًا البعض - قديمًا وحديثًا - الدسَّ على رسول الله ﷺ بعضًا من الأحاديث، فكانت كل هذه المحاولات كمن ينفخ على الشمس ليطفئها، أو كمن يضع الحواجز أمام الهواء؛ كي لا يصل إلى الناس». فالله عز وجل تكفَّل بحفظ هذا الدين، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، والذكر هنا - كما ذكر معظم المفسرين - هو القرآن الكريم، وما بيَّنه من السنة المطهرة. وهذا الأمر هو قائم إلى قيام الساعة. وقد توعَّد الحق تعالى بردع كل من يحاول إعلان الحرب على دين الله فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾، وفي الوقت نفسه وعد الحق تعالى أن هذا الدين سيظهر على الدين كله ولو كره الكافرون، وسيبلغ كل الأرض - مشارقها ومغاربها - ولن يقف في طريقه مشكِّكون، ولا مرضى النفوس، ولا غيرهم... قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها وإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها**» رواه الإمام مسلم.

نساله تعالى أن يهيئ لهذا الدين من يذود عن حياضه، وأن يهيئ له من يمكّنه في الأرض، ويحمله رسالة خير وهدى إلى البشرية جميعًا. ■

السيسي يستقبل رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ويؤكد أهمية استئناف مفاوضات السلام

استقبل الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي رونالد لاودر رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وهو اتحاد دولي للمنظمات اليهودية مقره الرئيسي نيويورك، بحضور رئيس المخابرات العامة عباس كامل، بحسب بيان للرئاسة المصرية. وقال المتحدث باسم الرئاسة المصرية السفير بسام راضي إن «اللقاء تناول استعراض بعض الموضوعات في إطار العلاقات المصرية الأمريكية، وكذلك عملية السلام في الشرق الأوسط، وعدد من القضايا التي تتعلق بمكافحة الفكر المتطرف» وبحسب البيان، أكد السيسي على «عمق العلاقات الاستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة، والتي تمثل أهمية بالغة في ظل ما يشهده المحيط الإقليمي من أزمات... لدرء الأخطار، خاصةً في إطار مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف؛ وذلك من أجل تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة" وذكر بيان الرئاسة المصرية أن رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» أعرب عن تقديره لدور مصر المحوري كركيزة للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط والقارة الأفريقية، وأشار إلى جهود مصر في التصدِّي لخطر الإرهاب، ومساعيها الحثيثة للتوصل إلى حلول لمختلف الأزمات التي تمر بها المنطقة.

الوعي: نتساءل ما الداعي لحضور رئيس المخابرات العامة مثل هكذا اجتماع إلا أن يكون إظهار ما يقوم به السيسي في خدمة اليهود إن بالنسبة للقضية الفلسطينية أو محاربة الإسلام تحت مقولة مكافحة الإرهاب والفكر المتطرف؟! وهل يستنجد السيسي بهذا المؤتمر اليهودي لتحسين صورته، كما هو حال كل نظام يرى أن اليهود هم أفضل واسطة لذلك، وما حكام السودان عنا ببعيد حين استعانوا باليهود من أجل إقناع الإدارة الأمريكية برفع العقوبات الأمريكية عنهم؟!

القوة التي قتلت بن لادن» تتحوَّل من مكافحة الإرهاب إلى محاربة القوى العالمية

تمر القوات الخاصة التابعة للبحرية الأميركية (سيلز)، بعد عشر سنوات على قيامها بقتل أسامة بن لادن، بعملية تحوُّل ضخمة لتطوير قيادتها وتوسيع قدرات قوات النخبة لمحاربة تهديدات القوى العالمية مثل الصين وروسيا. وتعتمد الخطة الجديدة على جعل الفرق أكثر فتكًا وقدرة على مواجهة الخصوم فوق وتحت سطح البحر، وستجري عملية بحث عن قادة أكثر كفاءة بعد الفضائح التي هزت القوة، والتي شملت تهم القتل والاعتداء الجنسي وتعاطي

المخدرات. وأشار الأدميرال هيو هوارد، القائد الأعلى للقوات، في مقابلة مع وكالة أسوشيتدبرس إلى أن قوة العمليات الخاصة التابعة للبحرية كانت تركز على عمليات مكافحة الإرهاب، لكن الوقت حان للبدء في التطور إلى ما وراء تلك المهام. فعلى مدى العقدين الماضيين، قاتل الكثيرون من جنود القوة في صحراء العراق وجبال أفغانستان، والآن ينصب تركيزهم على العودة إلى البحر. ويعكس هذا القرار استراتيجية البنتاغون الأوسع نطاقًا لتوجيه الأولوية للصين وروسيا اللتين تعملان على تنمية جيوشهما بسرعة وتحاولان توسيع نفوذهما في جميع أنحاء العالم، ويعتقد قادة الدفاع الأميركيون أن عقدين من الحرب ضد المسلحين والمتطرفين استنزفت الموارد، مما تسبب في خسارة أميركا أمام موسكو وبكين. وأضاف: «العديد من هذه الأشياء قابلة للتحويل؛ لكننا الآن بحاجة إلى بذل مزيد من الجهد لمواجهة تهديدات نظرائنا» ونتيجة لذلك يضيف هوارد مجندين جددًا لتعزيز قدراتها في مجالات الحرب الإلكترونية، والأنظمة المسيرة، وشحذ مهاراتها لجمع المعلومات الاستخباراتية وخداع العدو وهزيمته.

الوعي: واضح في هذا التحول أن أمريكا تريد أن تعوِّض ما خسرته أمام روسيا والصين نتيجة انشغالها بالحرب على الإسلام، وهذا يشير إلى تحول السياسة العالمية إلى الانشغال بحروب باردة بين أقطاب دول الشر: أمريكا والصين وروسيا.

رحلات جوية بين تل أبيب ومدينة اللاذقية

أكدت مصادر إعلامية أن طائرةً روسية خاصة، يملكها سلاح الجو الروسي، أقلعت من مطار (بن غوريون) في تل أبيب، وهبطت في اللاذقية في قاعدة «حميميم» الروسية، بعد أن قدمت من موسكو بدايةً. وذلك على مرأى من نظام الأسد الممانع. ونقل الموقع عن مصدر (إسرائيلي) أنه بعد ثلاثة أيام سوف تنطلق طائرة أخرى برحلة مشابهة من مطار تل أبيب إلى مدينة اللاذقية، دون أن يذكر الأهداف من تلك الرحلات. وكانت صحيفة «الشرق الأوسط» تحدثت، مطلع العام الجاري، عن اجتماع عقد بين مسؤولين (إسرائيليين) وآخرين من نظام الأسد في قاعدة حميميم، لبحث الصراع السوري؛ حيث ترأس وفد النظام مدير مكتب «الأمن الوطني» اللواء علي مملوك، وترأَّس الوفد (الإسرائيلي) «غادي إيزنكوت» رئيس أركان الجيش (الإسرائيلي) السابق.

الوعي: ليس في هذا الخبر ولا في غيره من أخبار مماثلة مما لم يذكر، أي فضيحة، فمثل هكذا نظامٌ لم يخدع إلا من في قلوبهم عمى التعصُّب والتمذهُب والولوغ في دماء المسلمين الطاهرة. ونسأل الله أن ينتصف لنا منهم بأيدينا في الحياة الدنيا، وفي الآخرة عذاب مهين.

تحوُّل في الموقف القطري تجاه الصراع السوري وبقاء الأسد

كشف السفير القطري الجديد لدى موسكو، أحمد بن ناصر بن جاسم آل ثاني، في تصريحات لصحيفة «كوميرسانت» الروسية عن تحوُّل مفاجئ في موقف بلاده تجاه القضية السورية بقوله: «هناك تفاهم حول الأزمة السورية بين قطر وروسيا، وتمَّ تقريب المواقف» وأضاف: «موقف قطر واضح جدًا، نتعاون مع روسيا من أجل إنهاء معاناة الشعب السوري» وشدَّد على «أن قطر لا تدعم أي جماعات متطرفة في سوريا» وقال إنه «من الضروري اتخاذ إجراءات عاجلة لحلِّ المشاكل في سوريا، وقبل كل شيء بسبب الأوضاع الإنسانية المأساوية التي يعاني بسببها أشقاؤنا في سوريا» وتابع: «وقطر جزء من المنطقة، وحاولت منذ أولى أيام الأزمة الإسهام في حل المشاكل بين الشعب السوري والنظام» ورأى مراقبون أن تصريحات السفير القطري بشأن التقارب مع روسيا في الملف السوري تحوُّل في موقف الدوحة تجاه القضية السورية، خاصة وأن موسكو ترى أن الحلَّ في بقاء بشار الأسد في السلطة. وكانت كل من روسيا وتركيا وقطر عقدوا اجتماعًا ثلاثيًّا في الدوحة، في مارس/ آذار الماضي، على مستوى وزراء الخارجية؛ لمناقشة الملف السوري والخروج بتوافقات بين البلدان الثلاثة فيما يخصُّ الحلَّ في سوريا

الوعي: إن قطر دولة سيئة السمعة في التدخل لمصلحة أسيادها عن طريق استعمال (المال السياسي القذر) لاحتواء الثورات، ويد قطر القذرة في التدخل طويلة ومديدة، كانت في البوسنة والهرسك من قبل، وفي أفغانستان والصومال فيما بعد، وفي سوريا كما يصرح بعظمة لسانه الآن، وكلها كانت تنتهي لمصلحة أعداء المسلمين. انظروا إلى تصريحاته هذه كم فيها من خيانة لأهل سوريا المسلمين هو ومن معه من حكام العار في تركيا، الذين يتصارعون ثم يتصالحون ثم يجتمعون ويناقشون ويتوافقون ويقررون... والمسلمون هم الذين يضرسون.

نافالني محروم من قراءة القرآن... وسيقاضي السلطات الروسية

كشفت **وكالة «أسوشييتد برس»** في تقرير لها ترجمته «عربي٢١»، أن المعارض الروسي أليكسي نافالني يفجر أزمة جديدة مع السلطات في بلاده؛ وذلك بسبب «دراسة القرآن الكريم» وأكدَّت أن نافالني المعتقل في روسيا، «سيقاضي مسؤولي السجن لحرمانه من قراءة القرآن» وقال نافالني: «عندما سُجنت، وضعت لنفسي قائمة بالأمور التي أرغب في تحسين نفسي من خلالها، وكانت دراسة القرآن، وفهمه بعمق، من بين الأشياء الموجودة في تلك القائمة» وقال: «الكتب هي الشيء الوحيد المتاح لدينا في السجن، ومع ذلك، فإنني ممنوع من قراءة القرآن،

لكنني مستعد لمقاضاة إدارة السجن، إذا كانت تلك هي الطريقة التي أستطيع من خلالها انتزاع ذلك الحق». ويقول المسؤولون إن الكتب التي طلبها كلها بحاجة إلى «تفتيشها بحثًا عن التطرف» وإن البحث فيها يستغرق ثلاثة أشهر.

الوعي: إن ما ذكر من نية نافالني من دراسة القرآن الكريم والتعمق فيه يشير إلى قوة الإسلام في مشروع التغيير العالمي المنشود ومستقبله المتوقع لأن يأخذ موقعه في السياسة الدولية الراهنة. وهنا لا بد من ذكر أن نافالني هذا يعتبر معارضًا جديًّا لحاكم روسيا القيصر بوتين، وهذا الأخير يتعامل مع كل معارضيه بالاغتيال عن طريق تسميمهم بالغالب، وهو لا يختلف عن سائر حكام العالم بالإجرام، بل يزيدهم إن في الداخل أو في الخارج، وخاصة في سوريا حيث نصب نفسه مدافعًا عن حضارة بلاده ودين قومه حين قرَّر محاربة الإسلام ومشروع الخلافة في سوريا ومساعدة نظام الإجرام فيه، هذا النظام الذي يعتبر من مخلَّفات جهاز الاستخبارات الروسية السابق الـ (كا جي بي) يعتبر بوتين أحد خريجيه المبرَّزين... تشابهت قلوبهم.

قلق في الولايات المتحدة من رفض الإنجيليين للقاح كورونا

قالت صحيفة «إندبندنت» إن هناك شكوكًا عميقة بين الإنجيليين البيض في الولايات المتحدة بشأن أخذ اللقاحات، الأمر الذي ربما يعيق مسألة محاربة فيروس كورونا. وأوضحت الصحيفة أن رئيس المؤتمر المعمداني الجنوبي «جي دي غرييير»، وهو أكبر طائفة إنجيلية في أمريكا، نشر صورته على فيسبوك، خلال حصوله على لقاح كورونا، ورغم الإعجابات العديدة التي حصدها، فإن العديد من الإنجيليين هاجموه؛ في حين صوَّر آخرون اللقاحات على أنها شيطانية وغير آمنة، واتَّهم البعض القسيس بأنه متواطئ في الدعاية الحكومية للحصول على اللقاح. وفي استطلاع أجراه مركز Associated Press-NORC لأبحاث الشؤون العامة في آذار/ مارس، قال ٤٠ بالمئة من البروتستانت الإنجيليين البيض، إنهم لن يأخذوا اللقاح على الأرجح. وأثارت النتائج القلق حتى داخل الأوساط الإنجيلية. وقال كورتيس تشانغ، القس والمبشِّر السابق الذي أسَّس موقع «المسيحيون واللقاح»، وهو حجر الزاوية للمبادرة الجديدة: «يشكل الإنجيليون البيض ما يقدر بنحو ٢٠ بالمئة من سكان الولايات المتحدة» وأشارت إلى أن «بعض المسيحيين يفضِّلون ترك مصيرهم بيد الله على أخذ اللقاح» ونقلت عن أحد أتباع الكنيسة الإنجيلية قوله: «سنمر بأوقات من التجارب، وكل أنواع الأشياء الفظيعة، لكننا ما زلنا نعرف إلى أين نحن ذاهبون في النهاية، والسماء أفضل بكثير من هنا على الأرض. لماذا نحارب الرحيل من هنا؟».

الوعي: وفي هذا المجال، نلفت من جديد إلى ضرورة أخذ العالم أجمع بتعاليم الإسلام في التعامل مع هذا الفيروس، دولًا وأفرادًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مسؤولية المسلمين الشرعية حيال غياب الحكم بالإسلام

من المعلوم الشرعي ضرورة بحيث لا يعذر مسلم بجهله أن الإسلام هو دين الله الخاتم، وإلى الناس أجمعين في حين أني كل دين من قبله كان لكل قوم خاصة. وإنه إذا كان لكل أمة رسولها فالإسلام هو لكل الأمم، وهو من أجل ذلك يقتضي من المسلمين وجوبًا نشره وجعله شاهدًا على الناس بالحق. ونحن نرى أن كلًّا من التوراة والإنجيل أنزل، وأمر أتباعه بالحكم به، ووصف من لا يحكم به بأنهم (الكافرون) و(الظالمون) و(الفاسقون) وحيث إن هذا الوصف لهم جاء عامًا في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٤-٤٥-٤٧] فهو يشمل المسلمين في عدم الحكم بالشرع. ومن العجيب أن يكون ذلك غائبًا عن أذهان علماء المسلمين اليوم، فيتعامَون عنه وكأن ليس وراءه تكليف. فنرى أنهم يؤمنون بأن الإسلام دين كامل شامل وإلى قيام الساعة، ويستشهدون في خطبهم وأحاديثهم بحياة الرسول كحاكم وقائد جيش، ويتكلمون عن الجهاد، وعن الخلفاء الراشدين وعن الدولة الإسلامية في غابر الأيام... ولكن لا يسألون أنفسهم عن مسؤوليتهم الشرعية حيال غياب الحكم بالإسلام وتنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم، ولا عن منزلة الحكم بما أنزل الله من الدين، وماذا يعني عـدم الـتـحـاكم إلى الدين في شؤون الحياة، والتي كان من أخطر وأبرز عواقبها ما حلَّ في بلاد المسلمين من فساد، وظلم، وضعف.....

إن أخطر ما يطرح من معاذير حول إهمال هذا الواجب الشرعي الذي لا يعلو عليه واجب شرعي آخر أنا وجدنا من يقول بوجوب طاعة ولي الأمر بما يحكم، وجعل الطاعة له مطلقة غير مقيدة في الشرع، ومنهم من يقول بأن الشرع إنما جاء لتحقيق مصالح العباد و(حيثما تكن المصلحة فثم شرع الله) وهذه الأحكام المتروكة للمسلمين أن يحددوا المصلحة فيها تشكل ٩٠٪ من أحكام الشرع؛ فصارت، بناء على هذه المقولة، المصلحة مصدرًا أوحد للشريعة فيها. ومنهم من يفتي بجواز المشاركة في الانتخابات الوضعية وكأنه يسلم قيادة حياته المعيشية والسياسية إلى غير الإسلام. وهناك الصوفيون الذين نرى كيف أن مراكز الأبحاث الغربية تدعو الحكومات الغربية وبالتالي الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين لدفعهم إلى أن يكونوا في صدارة قيادة

المسلمين.

ومن أجل ذلك رأينا أنه لا بد من استنهاض العلماء هؤلاء لفهم الدين على طريقة فهم الأوائل، وهي الطريقة الصحيحة، وجعل إقامة الدين مربوطًا لزومًا شرعيًا بإقامة دولة الخلافة الراشدة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة: ٤٨].

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: «لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها الله على موسى كليمه [عليه السلام] ومدحها وأثنى عليها، وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتِّباع، وذكر الإنجيل ومدحه، وأمر أهله بإقامته واتِّباع ما فيه، كما تقدم بيانه،كذلك شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، فقال ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي من الكتب المتقدِّمة المتضمِّنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتَّبعوا شرائع الله، وصدَّقوا رسل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي إن كان ما وعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين، من مجيء محمد عليه السلام ﴿لَمَفۡعُولٗا﴾ أي: لكائنًا لا محالة، ولا بد.

وقوله:﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ فبعدما ذكر عدة تفاسير لها، قال: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفَّل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾أي: فاحكم يا محمد بين الناس: عربهم وعجمهم، أميِّهم وكتابيِّهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرَّره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا وجهه ابن جرير بمعناه.

وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيَّرًا، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم فردَّهم إلى أحكامهم، فنزلت ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء.

وقوله:﴿ لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ فقد رجَّح في تفسير ﴿شِرْعَةً﴾ «شريعة»، وفي تفسير ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ «فهو الطريق الواضح السهل» ثم قال: هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلِفة في الأحكام، المتَّفِقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلَّات، ديننا واحد**» يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦] وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا ثم يحلُّ في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة. وعن قتادة: قوله: ﴿لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل... هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها؛ ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم؛ ولهذا قال تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾يعني من الكتاب. ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فقال: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ﴾وهي طاعة الله واتباع شرعه، الذي جعله ناسخًا لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله. ثم قال تعالى:﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾أي معادكم أيها الناس، ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزي الصادقين بصدقهم ، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة، والأدلة الدامغة . ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص ركن في العبادة لا يقبل الله بدونه عملًا (١)

الإخلاص هو إفراد الله عزَّ وجلَّ بالقصد في العبادة، أي لا يبتغي العبد بالعمل إلَّا وجه الله عزَّ وجلَّ. وقال بعض السلف: الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهدًا غيرَ الله، ولا مجازيًا سواه. وقد عبر القرآن، وعبرت الأحاديث عنه بألفاظ وعبارات متعددة، عبر عنه بالإخلاص، وصدق النية، ويريد ويبتغي وجه الله، يقوم بالعمل إيمانًا واحتسابًا، يعبدونني لا يشركون بي شيئًا. يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله عزَّ وجلَّ... وهذه طائفة من الأحاديث التي تبيِّن جليل قدر الإخلاص الذي يجب أن يكون قرين العمل لينتبه المسلم إليه، وليؤكده في نفسه في كل عمل يقوم به، خاصة وأن النفس تحب أن تظهر أنها وراء العمل والتباهي به، فمتابعة الإخلاص والحرص على وجوده في كل عمل مطلوب حتى يصبح سجية وطبعًا.

- قال رسول الله ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرت عليه حتى ما تجعل في فم امرأتك**» رواه البخاري.

- عن أبي كبشة عمرو بن سعدٍ الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الدّنيا لأربعة نفَر: عبدٌ رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتّقي اللهَ ويصِل فيه رَحِمه ويَعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رَزَقه الله علمًا ولم يرزُقه مالًا، فهو صادِق النية يقول: لو أنَّ لي مالًا لعمِلتُ بعمَل فلان، فهو نيّته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزَقَه الله مالًا ولم يرزقه عِلمًا، فهو يخبِط في ماله بغيرِ عِلم، لا يتّقي فيه ربَّه ولا يصِل فيه رحِمه ولا يعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبَثِ المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعمِلت فيه بعمل فلان، فهو نيّتُه فوِزرُهما سواء**» رواه الترمذي

- عن عمر بن الخطاب قال: سمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هِجرتُه لدنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكِحها فهِجرته إلى ما هاجَر إليه**» رواه البخاري ومسلم

- قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعلَّم عِلمًا ممَّا يُبتَغى به وجهُ اللهِ لا يتعلَّمُه إلَّا لِيُصيبَ به عرَضًا مِن الدُّنيا لَمْ يجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ**» رواه أبو داود.

- وجاء رجل من أهل الشام، فقال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا، فقال ﷺ: «**لا أجر له**» فأعظم ذلك الناس، فقالوا: عُد لرسول الله، فلعلك لم تفهمه، فقال ﷺ له: «**لا أجر له**»، قال ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمِل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» رواه مسلم.

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يُصاح برجل من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمكَ كتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب. فيُقال: أفلكَ عذرٌ أو حسنةٌ فيها؟ فيقول الرجل: لا. فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرَج له بطاقة

فيها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟، فيقال: إنَّك لا تُظلم، فتُوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني.

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلًا وَلا مالًا، فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائمِيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ. قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةٌ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ»** وفي رواية: **«كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِى وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا»** وفي رواية: **«فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَه وَذَهبَ فثمَّرت أَجْرَهُ حَتَّى كثرت منه الأموال، فجاءني بَعدَ حِينٍ فَقالَ: يَا عبدَ الله، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيقِ فقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنه شَيْئًا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ»** متفقٌ عليه.

- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **«مَن بنى مسجدًا يبتغي به وجهَ الله، بنى الله له مثله في الجنة»** متفق عليه.

- عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجلُ يقاتل حميةً، ويقاتل شجاعةً، ويقاتل رياءً (ليراه الناس ويُثنوا عليه)، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال: **«مَن قاتَل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»** متفق عليه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«تكفَّل اللهُ لِمَن جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ»** متفق عليه.

- عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من طلب الشهادة صادقًا أُعطيَها، ولو لم تُصِبْه»** رواه مسلم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشِرْكَه»** رواه مسلم. ■ [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

من فضائل الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ قال السهيلي: ألا ترى كيف قال: لا تحزن، ولم يقل لا تخف؟ لأن حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه... ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار دخل قبله لينظر في الغار لئلا يُصيب النبي ﷺ شيء... ولما سارا في طريق الهجرة، جعل أبو بكر يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ فقال: «**يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟**» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال ﷺ: «**يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟**» قال: نعم والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من مُلمّة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة، فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. فقال عمر: والذي نفسي بيده، لتلك الليلة خير من آل عمر. رواه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة.

- روى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أمَّا صاحبكم فقد غامر**»، وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر - ثلاثًا - ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَـمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي فجعل وجه النبي ﷺ يتمعّر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم - مرتين - فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صَدَق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي** - مرتين -» فما أوذي بعدها.

- قال ﷺ: «اقتدوا باللذَين من بعدي: أبي بكر وعمر» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة، وهو حديث صحيح .

- روى البخاري: قال ابن عمر رضي الله عنهما رضي الله عنهما: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي صلى

الله عليه وسلم، فنخيّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ.

- في الصحيحين عن عائشةَ رضي اللّهُ عنها قالت: «لما مَرِضَ النبيّ ﷺ مرَضَهُ الذي ماتَ فيه أَتاهُ بلالٌ يُؤْذِنهُ بالصلاةِ فقال:» **مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصَلِّ**». قلتُ: إنّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ [وفي رواية: رجل رقيق] إن يَقُمْ مَقامَكَ يبكي فلا يقدِرُ عَلَى القِراءَةِ. قال: «**مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلِّ**». فقلتُ مثلَهُ. فقال في الثالثةِ - أَوِ الرابعةِ: «**إنّكنّ صَواحبُ يوسفَ! مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلِّ**»، فصلّى» ولذا قال عمر رضي الله عنه: أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا؟!

- وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فكلمته في شيء فأمرها بأمر، فقالت: أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**». رواه البخاري ومسلم.

- وروي عن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر وعمر سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلَّا النبيين والمرسلين**». أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة.

- وروي أن عمر ﷺ قال في إحدى خطبه: «وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر». رواه البخاري ومسلم.

- وروي أن عليًا ﷺ قال بحضرة من أصحابه لما ذُكر أبو بكر وما لاقاه من الأذى قال: «أنشدكم الله؛ أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟» فسكت القوم، فقال علي ﷺ: «فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه».

- وروى البزار في مسنده عن محمد بن عقيل، عن علي ﷺ أنه قال في خطبته ذات يوم: «أيها الناس! من أشجع الناس؟». قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: «أما أنا فما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه، ولكن هو أبو بكر».

- وروي أن هارون الرشيد سأل الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، فقال: يا أبا عبد الله! أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ، فقال: «يا أمير المؤمنين! منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته». فقال الرشيد: شفيتني يا مالك.

- قال عمر بن الخطاب ﷺ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيتَ لأهلك؟**» فقال: أبقيتُ لهم الله ورسوله! قال عمر: قلت: واللهِ لا أسبقه إلى شيء أبدًا . رواه الترمذي. ولما هاجر مع رسول الله ﷺ أخذ ماله كله في سبيل الله.

- قال عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قال: قلت: من

الرجال؟ قال: «**أبوها**» رواه مسلم.

- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إن مِن أمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر؛ ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقينَّ في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر**».

- قال ﷺ: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان**». فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**». رواه البخاري ومسلم .

- قال محمد بن الحنفية: قلت لأبي، علي بن أبي طالب ﷺ: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري.

- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا .فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة**» رواه مسلم.

- ثبت أن النبي ﷺ قال: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر إلا أبو بكر». ومن أعظم أعماله سبقه إلى الإسلام، وهجرته مع النبي ﷺ، وثباته يوم موت النبي ﷺ. ومن أعماله قبل الهجرة أنه أعتق سبعة كلهم يُعذَّب في الله، وهم: بلال بن أبي رباح، وعامر بن فهيرة، وزنيرة والنهدية وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عُبيس. ومن أعظم أعماله التي قام بها بعد تولّيه الخلافة حرب المرتدين. وفي عهده جُمع القرآن، حيث أمر رضي الله عنه زيد بن ثابت أن يجمع القرآن. وكان عارفًا بالرجال، ولذا لم يرضَ بعزل خالد بن الوليد، وقال: واللهِ لا أشيم سيفًا سلَّه الله على عدوِّه حتى يكون الله هو يشيمه. رواه الإمام أحمد وغيره.

- كان رجلًا رحيمًا رقيقًا؛ ولكنه في موقف حرب المرتدين كان أصلب وأشدّ من عمر ﷺ الذي عُرِف بالصلابة في الرأي والشدّة في ذات الله. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: لما توفى النبي ﷺ واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، واللهِ لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فواللهِ ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

- وفي عهده وقعت وقعة ذي القَصّة، وعزم على المسير بنفسه حتى أخذ عليّ بن أبي طالب ﷺ بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحد: شِـمْ سيفك، ولا تفجعنا بنفسك. وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع أبو بكر ﷺ وأمضى الجيش.

- مات أبو بكر رضي الله عنه وما ترك درهمًا ولا دينارًا، عن الحسن بن علي ﷺ قال: لما احتضر أبو بكر ﷺ قال: يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا متُّ فارديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر ﷺ أرسلت به إلى عمر ﷺ فقال عمرﷺ: رضي الله عنك يا أبا بكر، لقد أتعبتَ من جاء بعدك.

- قالت عائشة ﷺ: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري.

- وفي الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ: إن رسول الله ﷺ قال: «**ما لأحد عندنا يدٌ إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة** - وفي لفظ آخر: **ما أحد أعظم عندي يدًا من أبي بكر- واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته**». أخرجه الطبراني. ■

أيَّد علماء سلفيون مداخلة وصوفيون أشاعرة، بالرغم من عمق الاختلافات بينهما، ومن الاتهامات المتبادلة بين الفريقين الطافحة بالتضليل والتبديع والتكفير، وباركوا بالتطبيع الإماراتي مع (إسرائيل) وهذا ما يكشف عن دور الأنظمة السياسية في صناعة مواقف بعض هؤلاء المعممين الذين جرى إبرازهم بما يخدم أجنداتها المليئة بالخيانات. **فالحبيب علي الجفري** المعروف بصوفيته وأشعريته علَّق على الاتفاق بقوله: «أثق في دولة الإمارات... وأثق على وجه التحديد في أخي الشيخ محمد بن زايد» وقال: «إن قرار عقد المعاهدات مع العدو، صلحًا كانت أو هدنة، هو من مسائل السياسة الشرعية التي أُنيطت بولي الأمر وفق ما يظهر له من مصلحة عامة». وكذلك وصف الداعية السعودي **عبد الله فدعق**، وهو من رموز الصوفية وأشعري، دولة الإمارات بعد توقيع الاتفاق بـ«الشجاعة» وقال: «ومن يفهم (ألف باء) الشرع يفهم أن فقه (السياسية الشرعية) يخوِّل ولي الأمر رعاية مصالح الناس، ومقاصد الشرع، وتقديم المصالح، والموازنة بينها وبين المفاسد». وقال السلفي (المدخلي) الكويتي **محمد العنجري** إن مسألة الصلح مع العدو ترجع لولي الأمر، والشيخ محمد بن زايد وليُّ أمر، وهذا حقه، ولا يجوز أن ينازَع في ذلك، بل يجب على الشعب الإماراتي أن يقف معه في هذا الاتفاق.

الوعي: إن هذا الأمر ليس مقتصرًا على موضوع التطبيع مع الكيان الغاصب، وإنما يتعدى ذلك إلى غيره من الموضوعات التي يغوص الحكام في أوزارها وأوساخها ويتبعهم العلماء في تأييدها والإفتاء بها، من مثل ما حدث بتبريرهم لحكام الخليج جواز بناء الكنائس والمعابد لغير المسلمين في أرض الجزيرة العربية. ومثله جواز الاستعانة بالكافر وجواز التحالف معه بعدما أيَّد وأمدَّ حكام الخليج وعلى رأسهم السعودية تدخُّل أمريكا الذي أدى فيما بعد إلى احتلال العراق، بعد أن كانت الفتاوى عندهم تحرم ذلك. ومثله تحريم سَوق المرأة للسيارة ثم تغير ذلك الحكم بعد أن أذن لها ابن سلمان بذلك... على أن تغيُّر الفتاوى تبعًا لتغير مواقف الحكام لا يقتصر على علماء الخليج بل هو شامل لكل بلاد المسلمين حيث احتفظ كل حاكم منهم بفريق الببغاوات في قفصه ليرددوا ما يقوله لهم. فهم ضد بشار عندما يريد حاكمهم أن يكون ضده، ومعه إذا كان معه. والحجة الحاضرة البائرة عندهم هي: (إن قرار عقد المعاهدات مع العدو، صلحًا كانت أو هدنة، هو من مسائل السياسة الشرعية التي أُنيطت بوليِّ الأمر وفق ما يظهر له من مصلحة) ويعرف عن هؤلاء أنهم يعطون الشرعية والولاء التام والدائم للحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله في كل مواقفهم، ويقفون إلى جانبهم في حربهم على الإسلام بحجة محاربة التطرف. وهؤلاء قد تصل موافقاتهم لخيانات الحكام والسير معهم في كل خطوة إلى الإفتاء باستباحة دماء مخالفي ومعادي هذه الأنظمة، والتوقيع على قرارات إعدامهم... هؤلاء علماء حكَّام وسلاطين وليسوا علماء دين، وإنهم لشركاء الحاكم في الإثم والمعصية...فانبذوهم ■

محمد بن سلمان يعطِّل السنة الشريفة في رؤيته لتجديد الدين

بث التلفزيون السعودي في ٢٠٢١/٤/٢٧م، حوارًا مع ولي العهد محمد بن سلمان، بمناسبة مرور خمس سنوات على إطلاق رؤية السعودية (٢٠٣٠) أوضح فيه رؤيته لقضايا الشريعة الإسلامية والتجديد الديني باعتبارها قضايا هامة ومتداخلة مع الرؤية الاقتصادية والسياسية التي طرحها لتشكيل المستقبل في بلاده، والتي يصعب تحقيق أهدافها دون هذه الرؤية... وهذه الرؤية أقل ما يقال فيها إنها تعد انقلابًا عكسيًا في التوجه الديني الرسمي في المملكة... ومما قاله ابن سلمان في حديثه: (إن القرآن صالح لكل زمان ومكان... الحكومة في الجوانب الشرعية مُلزمة بتطبيق النصوص في القرآن ونصوص الحديث المتواتر، وتنظر لحديث الآحاد حسب صحتها وضعفها ووضعها، وإلا إذا كانت تستند على رأي فيه مصلحة واضحة للإنسان... لا نتبع مدرسة أو عالمًا معينًا... لا توجد مدرسة ثابتة، ولا يوجد شخص ثابت... الشيخ محمد بن عبد الوهاب لو خرج من قبره ووجدنا نؤلِّهه ونطبِّق نصوصه دون اجتهاد لرفضَ الأمر...)

الوعي: إن السعودية منذ قيامها تقوم على تحالف يصب في خانة (فصل الدين عن الدولة) بحيث إن الحكم هو لآل سعود، والفتوى لآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب. والفتاوى لا تتعدى مسائل الأحوال الشخصية للمسلمين، أما المواقف السياسية فهي مؤيدة بالمطلق من المؤسسة الدينية باعتبارها صادرة عن ولي الأمر. وهذه المؤسسة الدينية تتبع لاستغلال كامل من حكام آل سعود. ففي ٢٠١٨/٣/٢٧م، كشف ولي العهد السعودي محمد بن سلمان لصحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية أن انتشار الفكر الوهابي في بلاده يعود إلى فترة الحرب الباردة عندما طلبت أمريكا من السعودية استخدام أموالها لمنع تقدم الاتحاد السوفياتي في دول العالم الإسلامي.

إن إعلان ابن سلمان عن إسقاط وجوب الالتزام بأحاديث الآحاد هو كلام خطير جدًا من الوجهة الشرعية؛ ففيه تعطيل للشريعة، وفيه إنكار عام للسنة، وقد سبقه القذافي من قبل إلى هذه الدعوى المشؤومة... وهو في هذه الدعوى ينطلق من منطلق إرضاء الغرب والسير معه في حربه العالمية على الإسلام... فكلامه هذا مردود عليه، وتجب مواجهته، ولا يجوز السكوت عنه بحال، بل واتهام قائله... إن الجانب الإيجابي في مثل هذه التصريحات والمواقف أنه يُخرج الضَّبَّ من جحره، ويجعله مكشوف السوءة، وسيفضح ضعاف النفوس من علماء السلفيين. إن علماء السعودية اليوم، الرسميين وغير الرسميين، قبل غيرهم من علماء الأمة قاطبة، هم أمام فتنة يجب أن يكون الواحد منهم فيها منجيًّا لنفسه ولغيره، لا فتنة لنفسه ولا لغيره. نعم، إن المسلمين اليوم يرَون بأم أعينهم تحقق حديث رسول الله ﷺ: «**حتى يصيرَ الناسُ إلى فسطاطينِ، فسطاطِ إيمانٍ لا نفاقَ فيهِ، وفسطاطِ نفاقٍ لا إيمانَ فيهِ**» وإننا لنرى فيما يحدث عودة سريعة للخلافة الراشدة تحقيقًا لبشرى الرسول ﷺ: «**ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة**». وعلى الله قصد السبيل. ■